القولُ الرَّشيقُ الرَّشِيدُ

في شَرحِ عقيدةِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ

المتنُ للحافظِ الفقيهِ المتكلِّمِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ الشّافعيّ (ت ٧٠٢هـ)

القَولُ الرَّشِيقُ الرَّشِيدُ

في شَرحِ عقيدةِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ

المتنُ للحافظِ الفقيهِ المتكلِّمِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ الشّافعيّ (ت ٧٠٢هـ)

شَرح وتحقيق وتعليق

الشيخ جميل بن محمد علي حليم الأشعري الشافعي

دكتور محاضِر في العقائدِ والفِرَق

رئيس جمعيّة المَشايخ الصُّوفيّة

تَرجمةُ الحافظِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ رحمه الله

نسبه ومولده:

هو شيخ الإسلام تقي الدِّين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مُطيع بن أبي الطاعة القُشيري المنفلوطي الشافعي المالكي المصري.

ولد الشيخ تقي الدين ووالده متوجِّهٌ إلى الحجاز الشريف في البحر المالح في يوم السبت خامس عشري شعبان سنة خمسة وعشرين وستمائة بساحل الينبُع.

شيوخه:

ابتدأ بقراءة كتاب الله العظيم في أوّل نشأتِه، ثم رحل في طلب الحديث إلى دمشق والإسكندرية وغيرهما، فسمع الحديث من والده، والشيخ بهاء الدين أبي الحسن بن هبة الله بن سلامة الشافعي، والحافظ عبد العظيم المنذري، وأبي الحسن محمد بن الأنجب أبي عبد الله بن عبد الرحمن الصوفي البغدادي البغّال، والحافظ أبي علي الحسن ابن محمد بن أحمد بن محمد التيمي البكري، وأبي العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، وأبي الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد الدمشقي، وأبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، وقاضي القضاة أبي الفضل يحيى بن قاضي القضاة أبي المعالي محمد بن علي بن محمد القرشي، وأبي المعالي أحمد بن عبد السلام ابن المطهر، وأبي الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل، والحافظ أبي الحسن يحيى العطار، والنجيب أبي الفرَج وأخيه العز الحرّانيين، وخلائق يطُول ذِكرُهم.

تلامِذَتُه:

حدث ابن دقيقِ العيدِ رحمه الله بقُوص ومصر وغيرهما فسمع منه الخلقُ الكثير والجَمُّ الغفِير مع قِلّة تحديثه في ذلك الوقت، فمِمّن سمع منه: قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسي، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن حيدرة، وقاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان، وقاضي القضاة علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي، وأثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، والشيخ فخر الدين عثمان المعروف بابن بنت أبي سعيد، والتاج محمد بن الدشناوي، والشيخ فتح الدين محمد بن محمد اليعمري، وشرف الدين محمد ابن القاسم الإخميمي، والشيخ قطب الدين عبد الكريم الحلبي، وجَمعٌ يَطُول تَعدادُهم.

رِحلتُه ومكانته العِلميّتَان:

اشتغَل الشيخ تقي الدين بالفِقه على مذهَب الإمامين مالِك والشافعي على والده، واشتغل بمذهب الشافعي أيضًا على تلميذ والده الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي أوّلًا، ثم رحل إلى القاهرة فقرأ على شيخ الإسلام أبي محمد بن عبد السلام، وقرأ الأصول على والده، وحضر عند القاضي شمس الدين محمود الأصبهاني لمّا كان حاكِمًا بقوص هو وجماعة، وقرا العربية على الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسي وغيره.

قال الشيخ قُطْب الدين: كان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه، ومِمّن فاقَ بالعِلْم والزُّهْد على أقرانه، عارفًا بالمذهبَين، إمامًا في الأصلَين، حافِظًا، متقِنًا في الحديث وعلومه، يُضْرَبُ به المثَل في ذلك، وكان ءايةً في الحِفظ والإتقان والتحرّي، وشديدَ

الخوف دائم الذِّكْر، لا يَنام الليل إلا قليلًا، يُقَطِّعه فيما بينَ مُطالعةٍ وتلاوةٍ وذِكْرٍ وتهجُّدٍ حتى صار السَّهر له عادة، وأوقاته كلُّها معمورة، ولم يُرَ في عَصرِه مِثلُه.

مُصَنَّفاتُه وءاثارُه:

صنَّف رحمه الله وأملَى، فكان شرح الإمام فريدًا لناحية ما تضمنّه من الأحكام، وما اشتمل عليه من الفوائد النقلية، والقواعد العقلية، والأنواع الأدبية، والنُّكَت الخلافية، والمباحث الكلامية، واللطائف البيانية، والموادّ اللغوية، والأبحاث النحوية، والعلوم الحديثية، والملح التاريخية، والإشارات الصوفية، وغيرها مِن الفوائد العِلميّة.

وله كتاب «اقتناص السَّوانح شَرح مختصَر ابن الحاجب»، أتى فيه بأشياء غريبة، ومباحث عجيبة، وفوائد كثيرة، وموائد غزيرة.

وله رحمهُ الله إملاءٌ على مقدِّمة كتاب عبدِ الحقّ الإشبيليّ، وشرح مقدِّمة المطَرِّزي في أصول الفقه، وشرح على التَّبرِيزي في الفقه، وكتابه في علوم الحديث المسمى «الاقتراح في معرفة الاصطلاح».

وفاتُه:

توفي رحمه الله يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة ٧٠٢ هـ، ودفن السّبتَ بسَفح المُقطَّم شرقَ القاهرة، وكان يومًا مشهودًا، وصُلِّي عليه بسوق الخيل بالقاهرة وحضر جنازته نائبُ السلطنة والأمراء وجمعٌ غفير من الأمة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَروِي «عقيدةَ ابنِ دقِيقِ العيدِ» قراءةً لبَعضِها وسَماعًا لباقِيها على الشيخ السيّد بدر الدّين محمد بنِ عبد الرحمن الكتّاني حفظه الله **عن** جَدِّه المُسنِد الشيخ أبي الهدى محمد الباقر الكتّاني **عن** المحدِّث المُسنِد السيّد عبد الكبير بن محمّد الكتاني **عن** عن عبد الغنيّ المجدِّدي الدهلوي **عن** محمد عابد السندي **عن** عبد الرحمن بن سليمان الأهدل **عن** يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي عن محمد بن علاء الدين المزجاجي **عن** شيخه السيّد سليمان بن يحيى الأهدل **عن** والِدِه السيّد يحيَى بن عمر الأهدل **عن** الشيخ حسَن العجَيمي **عن** الشِّهاب الخَفاجِيّ **عن** الشَّمس محمد الرَّمليّ **عن** القاضي زكريّا الأنصاري **عن** الحافظ عمر بن فَهدٍ المكّي **عن** أبي المحاسِن محمد بن إبراهيم المُرشِدي **عن** أبيه أبي المحاسِن محمَّد بن إبراهيم المُرشِدي **عن** شمس الدّين محمد بن علي بن محمد المُقرِي **عن** محمد بن محمد بن نُمَير المُقرِي **عن** المصنّف تَقِيّ الدّين محمَّد بنِ عليّ بنِ دقيقِ العيدِ رحمه اللهُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَعنَى البَسملةِ

(بسم الله الرحمن الرحيم) أي ابتدئ أو أؤلف مستعينًا أو متبرِّكًا باسم الله تعالى، ولفظُ الجلالة "الله" اسمُ اللهِ الأعظمُ المفردُ علمٌ للذّات المقدَّس الواجب أي الثّابت الوجود لذاته[١]، المستحِقّ لجميع الصِّفات الجميلة أي صفاتِ الكمال الواجِبة له عزّ وجلّ.

و**(الرَّحمنِ)** معناه الكثير الرحمة للمؤمنين والكافرين في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، وهو مِن أسماء الله الخاصّة، و**(الرَّحِيمِ)** معناه الكثير الرحمة للمؤمنين. ولا يُنافي ذلك أنّهما -أي "الرحمن" و"الرحيم"- صِفتان مُشبّهتان بُنِيتا للمُبالَغة مِن رَحِم كما يُشتقّ العلِيم مِن عَلِم.

وأُسقِطت الألِف مِن "بِسم" طلَبًا للخِفة، وقيل لمّا أسقطوا الألف ردُّوا طُولها على الباء ليدُلّ طولها على الألف المحذوفة، وأمّا في قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ فأُثبِتت لقِلة استعماله، وقيل: إنّما طوَّلوا الباء لأنهم أرادوا أن يستفتحوا كتابَ الله بحرف معظَّم، وقيل: إنّ عمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يقول لكُتّابه: "طَوِّلوا الباء مِن بسم الله وأظهِروا السِّين ودَوِّروا الميم تعظيمًا لكتاب الله عز وجل".

---

(١) أي ليس وجوب وجوده لغيره خلافًا للحوادث، وكونه تعالى واجب الوجود مقطوعٌ بصِحّتِه عقلًا وشرعًا، إذ لو كان جائز الوجود وهو مُحْدِث العالم لكان من جملة العالم، ولا يصحّ أن يكون بهذا محدِثًا ومبدِئًا له وإلّا لَزِم الدَّور أو التَّسلسُل.

مَعنَى الحَمدَلة

(**الحَمْدُ للهِ**) هو لغة الثناء على الله تعالى تبجيلًا وتعظيمًا على ما تفضَّل به علينا من الجميل الاختياري، وعرفًا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث إنه منعم على الحامد وغيره سواء كان ذكرا باللسان أو اعتقادًا بالجَنان أو عملًا بالأركان، فعلى هذا يكون الحمدُ أعمَّ مِن الشكر، إذِ الشكر مُقابِلٌ للنِّعمة فقط، والشُّكر أعمُّ مِن وجه ءاخر لأنّه ثناءٌ باللِّسان والقلب والجوارِح، أمّا الحمد فباللِّسان فقط، قال الشاعر: [الطويل]

أَفَادَتْكُمُ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً ❋ ❋ ❋ يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

فكان كلٌّ منهما عامًّا من وجه خاصًّا مِن ءاخر وذلك بحسَب المَورِد والمتعلَّق: أمّا مَورِد الحَمد فواحد وهو اللِّسان، وأمّا متعلَّقُه فمتعدِّد لكونِه عن نِعمة وغيرِها، وأمّا الشُّكر فمَورده متعدِّد وهو اللِّسان والقلب والجوارح، ومتعلَّقُه واحد وهو النِّعم.

والحمدُ ضِدُّ الذّمّ، واللام في "لله" مِن "الحَمدُ للهِ" لام الاستِحقاق، كقولِهم: "الدّارُ لِزَيدٍ"، فيعطي اتّصال اللّام معنَى أنّ الله هو المُستحِقُّ للحَمد لأنّه المُحسِن المُتفضِّل على الخلق كافّةً.

وقد جرَت عادةُ السَّلَف والخلَفِ مِن هذه الأُمّة أن يُعَنْوِنوا أوائلَ رَسائِلهم وكُتبِهم وخُطَبِهم بالبَسملة ثُمّ بالحَمدلةِ اقتِداءً بالكتابِ العَزيز المُفتَتح بذلك وعَملًا بقَولِه ﷺ: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَقْطَعُ أَوْ أَجْذَمُ**» أي غيرُ تامٍّ بل هو ناقِصُ البرَكة.

مَعنَى العالَم

وقوله (إلهِ العَالَمِ) أي خالقِه ومُبْرِزه من العدَم إلى الوجود، والعالَم بفتح اللام هو كلُّ ما سِوَى الله، وهو أي العالَم قِسمان أجرامٌ وأعراض، فالجِرْم - بكسر الجيم - ما يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى ذات أخرى يقومُ بها كذوات الحيوانات والحجر والشجر فإن كلًّا من هذه يقوم بنفسه، والعرَض صِفة الجِرْم، وهو أي العرَض لا يقوم بنفسه بل يحتاج إلى ذات يقوم بها كالسَّواد والبياض وسائر الألوان والحرَكة والسُّكون والكَون في مكَانٍ وهو التّحيُّز، الّذي هو أخذُ الجِرم قدرَ ذاتِه من الفَراغ، فالجِرْم الطّويل مثلًا يأخذ فراغًا مقدارَ ذاته في الطُّول والقصيرُ كذلك يأخذ فراغًا مقدار ذاته في القِصَر وهكذا. فالعالَم محصورٌ في هذين القِسمَين، وأمّا الله سُبحانه وتعالَى يَستحيل في حَقِّه أنْ يُماثِل الجواهرَ البسيطة والمركّبةَ والأعراضَ.

ثُمّ يقال إنّ كُلّ جماعةٍ كثيرةٍ مِن كلِّ جِنسٍ عالَمٌ، وبيانُه أنّ العربَ عالَمٌ، والعجَمَ عالَمٌ، أمّا ما رُوِي عن بعضِ السَّلَف كسَعِيد بنِ المُسَيّب مِن أنّ للهِ ألفَ عالَمٍ سِتَّمائةٍ في البَحر وأربعَمائةٍ في البَرّ لا يَثبُت ذلك، بل لا يَعلَمُ عدَدَ العوالِم إلّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ.

وخُلاصةُ ما ءالَتْ إليه الأقوالُ في تفسير "العالَم" أربعة: مِنهم مَن رَدَّه إلى كُلِّ ذِي رُوحٍ في الأرض، ومِنهُم مَن رَدَّه إلى كُلِّ ذِي رُوحٍ مُطلَقًا، ومِنهُم مَن قال: لله كذا وكذا عالَم، والرّابع هو الّذي نقلَ الإمامُ الماتريديّ إجماعَ أهلِ الكلامِ عليه وهو أن العالَمين اسمٌ لجميعِ الأَنام والخلقِ جمِيعًا، وأنّ "العالَم" اسم للجَمِيع كلَفظِ الخَلْق.

مَعنَى الصّلاة والسّلام على النّبيّ

(**وَالصَّلَاةُ**) والسلام (**عَلَى نبيِّه**) أي صَفِّيهِ للنُّبُوّةِ والرِّسالةِ (**محمَّد**) وهي - أعني الصّلاة - من الله على نبيّه زيادةُ شرَف وتعظيم (**سَيِّدِ**) أي أفضلِ (**وَلَدِ**) رسولِ الله (**ءَادَمَ**) عليهِ السَّلامُ أوّلِ البشَر وأوّلِ نبيّ ورسولٍ، رَوَى أبو داودَ وغيرُه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ ءادَمَ يومَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**» أي ولا أقول ذلكَ تكبُّرًا وافتخارًا. قال الطِّيبيّ: "ذكر "أنا" هنا للتعيين في الإخبار"، وقال ملّا عليّ القاري: "قول "أنا" مِن حيث هو ليس بِمَذمُومٍ وإنَّما هو يُذَمُّ باعتبار إخباره بما يُفتَخَر بِه كقَولِ إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ونحوِ ذلك".

الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالَى

وبعد فإننا معشرَ أهل السُنّة والجماعة (**نؤمن**) أي نُصدِّق معتقدِينَ اعتقادًا جازمًا (**بأنّ الله تعالى موجود**) لا شكّ في وجودِه، ووجودُه أزليّ أبديّ لا يشبه وجودَ المخلوقات، وقد قام البرهان العقلي والنقلي على وجوده:

- أما الدّليل العَقليّ: فهو أنْ يقال: العالَمُ حادِثٌ، وكلّ حادث لا بُدّ له مِن مُحدِث، فهذا العالَم أحدَثَهُ اللهُ تعالَى فَهو خالِقُه. وقد اتَّفَق العقلاء وأهل الفِطْرة السَّلِيمة على وجود الخالِق عزَّ وجلَّ، وعلى ذلك دلَّتِ الفِطرةُ السَّلِيمة المُودَعة في النُّفوس والعُقولُ الخالِصةُ من شوائِب الإلحادِ، والنّاظِرُ في المُبتدَعات أي المخلوقاتِ مِن ذَوِي الأرواح والجماداتِ والأعراض وما يَطرأ عليها مِن ثباتٍ وزَوالٍ يَعلَم يقينًا أنّها موجودةٌ بإحداثِ خالِقٍ لها، أوجدَها الله عزَّ وجل بقُدرته وَفقَ عِلمه

ومَشِيئَتِه، وقد أرشَدنا إلى سَلكِ هذا الطّريق الكتابُ العزيز فقال تعالَى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقال بعض المفسّرين: وقالت لهم الرسُل هذا وَهُم يُرشِدونهم إلى طريقّ الحق مع الاستدلال على وجود الله ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بشواهد الحدُوث والتغيُّر الظاهرة فيها، فكان لا بُدّ لها مِن صانع وهو الله الّذي لا إلٰه إلا هو رَبُّ كلّ شيء ومَلِيكُه.

- وأمّا الدّليل النَّقليّ: فمِنه ما جاء في الآية السّابقة: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾ أي لا شَكَّ في وجودِ الله، وقولُ رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**» رواه البخاري والبيهقي وابن الجارود، ومعنَى قوله ﷺ: «**كَانَ**» أي هو موجودٌ أزلًا وأبدًا.

ثُمّ الدليلُ الطّبيعيّ على وجودِ الله واجِبٌ على المكلَّف معرفتُه، قال الآمدي في «الأبكار»: "اتّفق الأصحاب على انتفاء كُفرِ المُقلِّد[1] وأنه ليس للجمهور إلا القولُ بعِصيانِه بتَركِ النَّظر[2] إن قدَر عليه مع اتّفاقهم على صِحّة إيمانه".

فالاستدلال الطبيعيّ على وجود الله واجبٌ على المكلَّفين عَينًا، أمّا الدّليل التفصيليّ على وجودِ الله تعالَى ففرضُ كِفايةٍ لا فَرضُ عَينٍ، فمن لم يستدِلّ مِن المكلَّفين الاستدلالَ الطّبيعيّ على وجودِ الله فهو عاصٍ لكن يصحُّ إسلامُه.

---

(١) أي مَن قلَّد غيرَه في الإيمان مصدِّقًا بما قلَّد فيه مِن غيرِ أنْ يعلِّقَ إيمانَه على رُجوعِ المقلَّد ومِن غير شَكٍّ فيما ءامَن به، لكنّه لَم يستدلّ الدّليلَ الطّبيعيّ على وجودِ الله.

(٢) أي الدليل العقلي الطّبيعيّ على وجود الله.

ومِن لطِيف الاستِدلالاتِ على وجودِ الله عزّ وجلَّ لِمَن كان ذا عقلٍ سليمٍ متدبّرٍ "تنوُّع النّبات والشَّجر"، فإنّنا نرَى من النبات ما يتقابل فيه الأضداد، ففي اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وأزهاره وأثماره وبذُوره وروائحه وطعومه وألوانه ومنافعه ومضارّه ما يفوق إحصاءَنا له، فمِنه الشَّجر والنَّجْم والعُشْب، والصَّيفيُّ والشَّتَويُّ والرَّبيعيُّ والخريفيُّ، والسَّهليُّ والجبَلي، والمُكتفِي بماء المطر والمحتاجُ إلى سواه، والمُختَصُّ بإقليمٍ وما يعيش في كلِّ الأقاليم، وما تكون أوراقُه مستديرةً ومُستطِيلةً ومُسنَّنةً وعريضةً ورفيعةً، وأمّا الأزهارُ فأكثرُ اختلافًا وأوفَرُ تبايُنًا في الأشكال والألوان والرّوائح، وأمّا الثِّمار فاختلافُها بأشكالها وألوانها وروائحها وطُعومها شيءٌ تتحيَّر العُقول فيه.

فوجودُ عَجِيب هذه المصنوعاتِ دليلٌ صريحٌ على صانعٍ واحدٍ قديرٍ حيّ عالِم مُرِيد، لأنّه لو وُجِدَ كلُّ ذلك بالعِلّة والطّبيعةِ لَمَا اختَلَفت الأصنافُ المُتَّحِدة الأجناسِ في الأعراض التي تَعتريها مِن لونٍ وشَكلٍ ورائحةٍ وغير ذلك، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قِدَم اللهِ عزَّ وجلَّ أي أزلِيَّتُه

ونؤمن بأن اللهَ تعالى قدِيمٌ أزليُّ الوجودِ على الإطلاقِ **(لا أوّل)** أي لا افتتاحَ **(لوجوده)** الذّاتيّ، أمّا وجودُنا فبإيجادِ اللهِ لَنا قد حصلَ، وأنَّ كُلَ حادِثٍ لوجودِه مُفتتَحٌ لا شكّ، وإلّا لأدّى ذلكَ إلى القول بوجودِ حوادثَ لا أوّل لها وسيأتي إبطالُه عقلًا ونَقلًا.

أمّا الدليلُ العقليّ على أنّ وجودَ الله لا أوّل له أنّ الله عزّ وجلَّ لو لم يَكُن قديمًا لكان مُحدَثًا أي لافتقَر إلى مُحْدِث ءاخَر، وذلك المُحْدِث الآخَر المزعومُ يفتَقِر إلى مُحدِثٍ

ءاخَر لِتماثُلِه في الصِّفاتِ بالمُحدِث الّذي قَبلَه، فيؤدي ذلك إلى التَّسلسُل وعدَم التّناهِي في جهة الماضي وهو مُحالٌ في الحادِثات لاستحالة قِدَم العالَم جِنسًا وأفرادًا.

أمّا تقرير البُرهانِ على استِحالة قِدَم العالَم جِنسًا وأفرادًا فأن يقال: يجوزُ على العالَم العدَمُ إذْ هو أعيانٌ وأعراضٌ كما قرَّرْنا أوّلًا، وكلُّ ما جاز عليه العدَم استَحالَ عليه القِدَم. فيَنتُج أنّه يستحيلُ القِدَم على العالَم أعيانًا وأعراضًا، فيكون حادِثًا لا غَيرُ لأنه لا واسطةَ بين القِدَم والحُدوث، وبانتفاءِ القِدَم عنه يَثبُت له الحدوثُ.

وبعبارةٍ أُخرَى يقال: لَمّا كانتِ الأعراضُ والأعيانُ قابلةً للعَدَمِ استحالَ عليها القِدَم، لأنّ الأعراضَ والأعيانَ مُحدَثةٌ، والمُحدَث ما جازَ عليه العدَمُ، وجوازُ ذلكَ عليه مِن لوازِم وُجودِه وإلّا لزِمَ أن يكونَ وجودُه واجبًا غيرَ جائِزٍ وهو مُحالٌ.

وقد شَذّ عن هذا بَعضُ الفلاسِفة القُدامَى كإِرَسطو القائل بقِدَم العالم نوعًا وأفرادًا، والمُحْدَثِين كابن سينا والفارابي القائِلَين بأزلية نوعِ العالَم ومادّته لا أفرادِه، وقد كانَ مِن قَبلُ بعضُ قدُماء الفلاسفة كبعض اليونانيّين قد وَقع في تيهِ الحَيرة وتخَبَّط حتى بات لا يَدرِي ماذا يقولُ في العالم قَدِيمٌ أو مُحدَثٌ، كجالِينُوس القائل إنّه خرَج مِن الدُّنيا كما دخَل حيث لم يَعرِف فيها حقيقةَ الأشياءِ.

وقد تبِعَ أولئك الفلاسفةَ بعضُ مَن يَدّعي الحِذْقَ في المَعقولات كابنِ تَيْمية الحرّاني، فمَن نظَر إلى فِهرِسْت كِتابِه المُسمَّى «مِنهاجَ السُّنّة النَّبوِيّة» رُبّما يَظُنّ أنّه مِن أشَدِّ المخاصِمين للقائِلين بِقِدَم العالَم، وليتَ شِعرِي كيفَ يَنهَى عمّا يَتَبّناه مذهبًا في أكثرَ

مِن سَبعةٍ مِن كُتُبه في مواضِعَ مُتعدِّدة على اختلافِ طَبعاتِه الّتي طبعَها أتباعُه وأحبابُه الوهّابيّة ومَن شاكلَهُم مِن المجسِّمة المشبِّهة.

ومِن الدّليل الشّرعيّ على أنّه تعالَى أزليّ قولُه تعالَى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ فمعناه الذي لا بداية لوجودِه قال أبو البركات النسفي: "﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ فمعناه الذي لا بداية لوجوده"، وقال أبو سليمان الخطّابيّ: "معناه السابق للأشياء"، وقال أبو حيّان: "هو الذي ليس لوجودِه بداية مُفتَتحة".

أمّا القِدَم الّذي يُطلَق على الحوادِث فهو زَمانيٌّ، وفي ذلكَ جاءَ في القرءان الكريم مِثالٌ: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ أي رجَع في الدِقّة إلى حالته التي كان عليها من قبل، والعُرجون عودُ عِذق النّخلِ، والقديم في حَقِّ المخلوقِ المتقادِمُ في الزَّمان.

بَقاءُ اللهِ عزَّ وجلَّ

(و)نؤمن بأنّ الله تعالَى باقٍ (لا انتهاء) لوجوده، لأنّ وجودَه أزليّ، ومَن كان وجودُه أزليًّا فلا نهايةَ لوجودِه، ودليل أبديّة وجودِه عزّ وجلّ أنّه لو لم يَكُن باقيًا لجاز عليه العدَمُ، ومَن كان كذلكَ لَم يكُنْ إلهًا صانِعًا قديرًا عالِمًا بكلّ شيءٍ بل لكان محتاجًا.

والدّليلُ الشّرعيّ على ذلك قوله تعالى ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ ويَتعيَّن هنا تفسيرُ "الوجه" بالذّات لأنّه وردَ مَرفوعًا موصوفًا بـ ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ و"ذُو" مرفوعٌ أيضًا لأنّ الصِّفة تَتْبع الموصوفَ في الإعراب، والذّاتُ المُقدَّس هو الموصوفُ بأنّه ذُو الجلال والإكرام.

ويُفَهم أيضًا مِن قولِه تعالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي ذاتَه أنّه عزّ وجلّ لا يلحقُه الفناءُ، وقد أثبَتْنا حُدوثَ كُلِّ ما سواه فيما سبَقَ، وكُلُّ ما كان حادِثًا كان قابِلًا للعدَم، فثبَت أنّ كلَّ شيءٍ يجوزُ عليهِ الفَناءُ إلّا الله.

وكذلكَ جاءَ في حديثِ التِّسعةِ والتِسعينَ اسمًا لله عزّ وجلّ: «**الباقِي**»، وجاءَ في حديثٍ ءاخَر مرفوعًا: «**وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**» أي أنت الباقي الّذي لا انتِهاءَ ولا انقِضاءَ لوُجودِه عقلًا وشرعًا وبقاؤُه ذاتيٌّ.

وعدَمُ الآخريّة لوجودِه عزّ وجلّ هي البقاءُ الواجبُ أن يكونَ متّصِفًا به سُبحانه، والباقي والدائم في حَقِّ الله تعالَى بمعنًى وهو أنّه مَن لا يَلحَقُه فَناءٌ ولا عَدَمٌ، لكن دَيمومِيّتُه هذه أي بقاؤُه إلى ما لا مُنتهَى له لا تُشبِهُ دَيمومِيّةَ ما يدُومُ كالجنّة والنّار وما فيهما مِمّا يستمِرُ وجودُه إلى ما لا نهاية له، وذلك أنّه عزّ وجلّ يستحيل عليه الفَناءُ عَقلًا، وبهذا المعنَى لا دائِمَ إلا اللهُ ولا شريكَ له تعالى في دَيُمومِيّتِه كما أنّه لا شريكَ له في ذاته وصفاتِه وأفعالِه، وبقاؤُه عزّ وجلّ ذاتيٌّ أي لا شيءَ غيرُه أوجَبَ له ذلك البقاءَ، أما أبدِيّةُ غيرِه كالجنّة والنّار فليسَتْ ذاتِيّة إنّما هي بقاءٌ بإبقاءِ اللهِ على ما شاءَ لِمَن يبقَى مِن الحادِثاتِ، فظهَر بذلكَ أنّ بقاءَ الجنّة والنّار استمرارٌ لوجودِهما المُفتتَح.

ومِن البَراهينِ العقليّة على وجوبِ البقاءِ لله عزّ وجلّ أن يقال: لو صَحّ عدَمُ القَدِيم لصَحَّتْ إعادَتُه، ويَلزمُ مِن إعادةِ ذاتِ القَدِيم المزعومةِ كونُ الذاتِ القدِيم حادثًا، وفي ذلك إثباتُ نَقِيضَين في موضوعٍ واحِدٍ وهو مُحالٌ.

معنَى الأفلاكِ

(و)نؤمن بأن الله عزّ وجل هو خالِق هذا العالَم فلا قديمَ سواه بل **(كلّ)** موجودٍ مِن **(ما عداه)** أي مِمّا سواهُ سُبحانه وتعالى سواءٌ **(مِن مَلَكٍ)** من الملائكة، وسيأتي الكلامُ عليهِم إن شاءَ الله، **(و)**مِن **(فَلَكٍ)** من الأفلاك السَّماويّة حادثٌ. واختلَفَ المتكلّمُون والمفسّرُونَ في معنى الفلَك، فمِن قائلٍ: "هو مستديرٌ كالطّاحونة في السّماءِ كهيئةِ فلَكة الْمِغْزَل أي أنّ الّذي يَجرِي فيه النُّجوم هو مستديرٌ كاستدارةِ الطّاحونة"، ومِن قائلٍ: "هو السّماءُ الّذي فيه ذلكَ الكوكَب فكلُّ كوكبٍ يجري في السَّماء الّذي قدّر فيه"، ومِن قائل: "الفلَك ليس بجِسم وإنما استدارةُ[1] هذه النُّجوم"، قال الفخرُ الرّازيُّ: "وقال الأكثرون: بل هيَ أجسامٌ تَدُورُ النُّجوم عليها، وهذا أقربُ إلى ظاهِرِ القرءانِ".

وفي الاحتِجاجِ بِدَوَران الفلَكِ، وهو تواتُر حركاتِه بعضُها إثرَ بعضٍ مِن غيرِ ثبوتٍ ولا استقرارٍ، مَسلَكٌ مِن أقوَى المسالِك في مُحاجّةِ الملاحِدةِ في مسألةِ حُدوثِ العالَم لأنّ ذلكَ مُشاهَدٌ تغيُّره بمُراقبةِ حركاتِ الأفلاكِ كلَّ ليلةٍ عِيانًا.

معنَى النَّفْسِ

(وَ)هو عزّ وجلّ خالِقُ كُلِّ **(نَفْسٍ)** من الأنفُس، والنَّفْسُ تُطلَقُ في الحادثاتِ على الأرواحِ والذَّواتِ، وأمّا ما ورَد مِن إطلاقِ لفظ النَّفْسِ عليه تعالى فالمُرادُ به ذاتُه عزَّ وجلّ الّذي لا يُشبِهُ ذواتَ الخلقِ، فما جاء مِن نَحو ما في قولِه تعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ

(١) أي مَدَارُ.

نَفْسَهُۥ﴾ أي وَيُحَذِّرُكم اللهُ نَفسَه أن تَعصُوه فتَستَحِقُّوا عِقابَه، وَعَبَّر هنا بالنَّفس عن الذَاتِ جَريًا على عادة العرب كمَا قال الأَعشَى: [الكامل]

يَومًا بِأَجوَدَ نَائِـلًا مِنهُ إِذَا ❋❋❋ نَفْسُ الجَبَانِ تَجَهَّمَت سُؤَّالَها

التَّعريفُ بالإِنْسِ

(وَ)هو عزّ وجلّ خالِقُ كُلِّ (**إِنْسٍ**) أي إنسانٍ، وسُمِّي الإنسُ إنسًا لأنّهم يُؤنَسُون أي يَظهرون ويُبصَرون، وهو اسم جِنسٍ يشمَلُ كلّ أفرادِ الإنسانِ، واختُلِف في "إنسان" فقال بعضُهم: إنه فِعْلان من "الإنْس"، وقال غيرُهم: بل "إنسان" مأخوذٌ مِن "إِنْسِيان" وحذفوا منه الياء لكَثرة الاستعمال.

ورُوي عن بَعضِ السَّلَف أنّه قال: "إنّما سُمِّي الإنسانُ إنسانًا لكثرةِ ما يَنسَى"، واعترَضه بعضُ النُّحاة بأنّ هذا القولَ لا يُساعِدُه ما عليه لفظُ "الإنسان" مِن حيث البِنْيةُ ولا يُؤيِّدُه ما يصير عليه الاسمُ عند التّصغير لتحقيرِ فَردٍ معيَّن في قولِهم: "أُنَيْسِيان".

وأمّا تسمِية الإنسانِ بشرًا فقد نقَل الحافظ الزّبيدي عن بعضِ أهلِ الاشتِقاق أنّ سببَهُ تجرُّد بشَرةِ الإنسانِ مِن الشَّعَر والصُّوف والوَبر.

واللهُ تعالَى خالِقُ الإنسانِ وخالِقُ فِعلِ الإنسانِ خيرًا كان أو شَرًّا، وهو أمرٌ اتَّفَق عليه العُقلاءُ[1] وله أدلةٌ كثيرةٌ جِدًّا، وقد ذهبت المعتزلةُ إلى أنّ العبادَ مُوجِدُون لأَفعالِهم

(١) ذَوُو العقول السَّلِيمة.

مخترِعُون لها بقُدرةٍ أعطاهم الله إيّاها، وهذا كُفرٌ وضلالٌ مُبِينٌ، فأفعال العَبد عندهم واقعةٌ بقُدرةِ العَبد وحدَها على سبيلِ الاستِقلال، فالمتقدِّمُون منهم كانوا يَمنَعون مِن تَسمِية العبدِ خالقًا لقُربِ عَهدِهم بإجماع السَّلَف على أنه لا خالِقَ إلّا اللهُ، لكنِ اجترَأَ بعضُ المتأخِّرِينَ مِنهم فسَمَّوا العبدُ خالقًا على الحقيقةِ، وهو مِن أشنَعِ الكُفر.

فقد أجمَع أهلُ الحَقِّ على أنّ الله تعالى هو خالِقٌ لأفعالِ العِباد كلِّها كما أنّه خالِقٌ لأعيانِهم، وأجمَعوا على أنّ جميع ما يَفعَلُونه خيرًا كان أو شرًّا فهو بقَضاءِ الله وقدَره وإرادتِه عَزّ وجل، ولولا ذلك ما كانوا عَبيدًا ولا مخلوقِين ولا مربُوبِينَ، قال جلَّ جلاله في الكتاب الحكيم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾، ولَمّا كانت أفعالُ العِبادِ يُطلَق عليها أنها "شيءٌ" دَخَلَتْ في إطلاقِ الآية الشامِل لجميعِ الحادثات، ووجَب أن تكون حدَثَتْ بخَلْق الله عزّ وجلّ، لأنّها لو كانَتْ غيرَ مَخلوقةٍ لله لكانَ اللهُ جَلَّ شأنُه خالِقًا لبَعضِ الأشياءِ دُونِ بَعضٍ ولكانَ قولُه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ كذِبًا، حاشا للهِ وتعالَى رَبُّنا عن ذلِكَ عُلُوًّا كَبيرًا.

وقد روَى ابن ماجه والترمذي وأحمد وغيرهم عن أبي خِزامة عن أبيه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ رُقًى نَسْتَرْقِيها[١] ودَواءً نتَداوى به[٢] وتُقاةً

(١) جمع رُقْية وهي ما يُقرأ لطَلبِ الشِّفاء، والاسترقاء طلَبُ الرُّقية.
(٢) أي نستعمله من باب العمل بالأسباب لحصول الشفاء.

نَتَّقِيها[١] هل تَرُدُّ مِن قدر الله شيئًا؟ قال: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ»، فعَنَى ﷺ بذلك أنّ الله تعالى قَدَّر الأسبابَ والمُسبَّباتِ، فحصول المسبَّبات عند حصول الأسبابِ بتقديرِ الله.

فإنْ قالوا: هو الله يَخلُقُ الخيرَ ولا يَخلُقُ الشَّرّ، قُلنا: هذا رَدٌّ للنُّصوصِ، قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

فإنْ قالوا: هذه الآيةُ تعني أنّه خلَقَ الذَّواتَ الّتي هي شَرٌّ لا الأعمالَ، قُلنا: هذا تخصيصٌ مِنكُم لا دليلَ لَكُم عليه إنْ هو إلّا تحكُّمٌ مِنكُم، ومع ذلكَ نُورِد عليكم قولَ الله تعالَى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾، وإضلالُ اللهِ العبدَ هو خَلقُ الضّلالةِ في هذا المُضَلِّ مِن العِبادِ، وقد صرَّح موسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ بأنّ الإضلالِ كائنٌ بخلَقِ الله، وقال عزّ وجلّ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وروَى البيهقيُّ في «القضاء والقدَر» عن أبي جعفرٍ محمّد بنِ عليّ الباقِر عن أبيه قال: قال أبي الحسَينُ بنُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم: «واللهِ ما قالَتِ القدَرِيّةُ بِقَولِ اللهِ، ولا بقَولِ المَلائكةِ، ولا بقَولِ النَّبيّين، ولا بقَولِ أهلِ الجنّة، ولا بقَولِ أهلِ النّار، ولا بقَولِ صاحبِهم إبليسَ»، فقالوا له: تُفَسِّرُه لنا يا ابنَ رسولِ الله، فقال: «قال الله عزَّ وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآيةَ، وقالتِ الملائكةُ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، وقال نوحٌ عليه السّلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ

(١) أي أمر نتقي به وقاية ونلتجئ به أو نحذر بسببه.

يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾، فأمّا موسَى عليه السّلام فقال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾ الآيةَ، وأمّا أهلُ الجنّة فإنهم قالوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، وأمّا أهلُ النّار فإنَّهُم قالوا: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾ الآيةَ، وأمّا أخُوهم إبلِيسُ فقال: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الآيةَ، فزعمَتِ القدَرِيّةُ بأنّ اللهَ لا يُغْوِي».

التّعريفُ بالجِنّ

(وَ)هو عزّ وجلّ خالِقُ كُلِّ (جِنٍّ) وهُم خَلْقٌ مِن ذوي الأرواحِ غيرُ الإنس والملائكةِ والبهائم، أبوهُم الأوّل إبليسُ لعنهُ الله كما أنّ أبَا البشَرِ رسولُ الله ءادَمُ عليه السّلامُ.

وقد أنكرَ كثيرٌ مِن الفَلاسِفة وجماهيرُ القدَرِيّة المُعتزِلةِ والزّنادقةُ كافّةً وجود الجِنّ، وقال أبو قاسِم الأنصاريُّ في «شرح الإرشاد»: "وقد أنكرَهم مُعظَم المُعتزِلة ودَلَّ إنكارُهم ايّاهم على قِلّة مُبالاتِهم وركَاكةِ دِياناتِهم فلَيس في إثباتِهم مُستحِيلٌ عقليٌّ، وقد دلَّت نُصوص الكتابِ والسُّنّة على إثباتِهم، وحَقَّ على اللَّبِيب المعتَصِمِ بحَبْل الدِّين أن يُثْبِت ما قضَى العقلُ بجَوازِه ونَصَّ الشَّرعُ على ثُبوتِه".

وأصل الجِنّ لَهيبُ النّارِ الصّافِي كما أنّ أصلَ الإنسِ الطِّينُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ أي خُلِق مِن قَبلِ خَلقِ ءادَم عليهِ السّلامُ، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ﴾ يعني مِن الصّافِي مِن لهَبِ النّارِ الّذي لا دُخانَ فيه، وقيل: هو ما اختلَط بعضُه بِبَعضٍ مِن اللَّهَب الأحمَرِ والأصفَرِ الّذي يَعلُو النّار إذا أُوقِدَتْ.

والجِنُّ كالبشَرِ فيهمُ المؤمِن والكافِر، فأمّا الكافِرُ فيُسمَّى الشيطانَ خاصّةً، وأمّا الأتقياءُ في مؤمنيهِم فقليلٌ، وهُم مكلَّفون بالعباداتِ مِثلُنا كما دلَّ على ذلكَ صريح قولِ الله تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

والجِنُّ قِسمان: هوائيُّون وأرضِيُّون، فالأوّل هُم قِسمٌ مكَّنهُم الله تعالَى مِن الطَّيرانِ، وأمّا الثّاني فلا يطيرونَ لكن يكونُ مُكثُهم في الأرض. وقَد سخَّر الله تعالَى لسليمانَ عليهِ السّلامُ الشّياطينَ - وهُم كفَرَةُ الجِنّ - فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، وكان مَن يعصِي مِنهُم أمرَ سُليمان ضرَبَهُ ملَكٌ بِسَوطٍ مِن نارٍ ضربةً أحرقَتْهُ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

وقَد جاءَ في شأنِهم في أحاديثَ ثابتةٍ بعضُ الأخبارِ منها ما جاءَ في «صحيح مُسلِمٍ» عن سالِمٍ عن أبيه أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**لا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمالِهِ وَلا يَشْرَبَنَّ بِها، فَإِنَّ الشَّيْطانَ يَأْكُلُ بِشِمالِهِ وَيَشْرَبُ بِها**».

كُلُّ شيءٍ بخَلْقِ اللهِ

فكُلُّ ما دخلَ في الوجودِ مِن سماواتٍ وأرضِينَ وعَرشٍ وفَرشٍ وجَنّةٍ ونارٍ وإيمانٍ وكُفرٍ وطاعةٍ ومَعصيةٍ وخَيرٍ وشَرٍّ (**فوُجُودُهُ**) أي وجودُ ذلكَ كُلِّه بعدَ عدَمٍ (**مِنْ صُنْعِهِ**) عزَّ وجلَّ أي تخليقِه وإيجادِه لها (**سُبْحَانَهُ**) أي تنزَّه الله (**وَتَعَالَى**) أي جلَّ وتنزَّه عمّا لا يجوزُ عليه عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وقد سبَق الكلامُ على خَلقِ الله أفعالَ العِبادِ والرَّدُّ على المعتزِلةِ مستوفًى، وخلاصَتُه أنّ أفعالَ

العبادِ خَيرَها وشَرَّها مخلوقةٌ بخَلْق اللهِ عزَّ وجَلَّ لأنّ قُدرةَ الله قَدِيمةٌ لا تتعلَّق ببعضِ المقدُوراتِ دُونَ بَعضٍ بل تَتعلَّق بكُلِّ ما يَصلُح مَقدُورًا في نَفسِه، وأفعالُ العِبادِ حَوادِثُ صلَحَتْ مَقدُورةً في نَفسِها، فإذا وُجِدَت كانتْ مَخلوقةً بخَلْق اللهِ تعالى، فالعَبد ليسَ بخالِقٍ لأفعالِه ولا بمُوجِد لَها بل اللهُ خالِقُ العبدِ وخالِقُ أفعالِ العَبدِ.

وجودُ اللهِ واجِبٌ لذاتِه

فـ(**لَا يَسْتَحِقُّ**) في وُجودِه (**الوُجُودَ الوَاجِبَ**) الّذي لا يُتصورَّ عدَمُه (**شَيءٌ**) مِن الموجوداتِ (**سِواهُ**) أي سوى اللهِ جلَّ جلالُه فإنّه واجبُ الوجودِه لذاتِه أي ليسَ موجودًا بإيجادِ غيرِه له أو لسببٍ أو عِلّةٍ، بل هو مُنزَّهٌ في وُجودِه عن سائِر وُجوهِ العِلَل والمُناسَباتِ والتَّعلُّقاتِ والاتِّصالات، ومِن ذلكَ يُستدَلُّ على أنّه عزَّ وجلَّ مُنزَّه عن التّحيُّز أيضًا، وذلك لأنّه لو كانَ مُتحيّزًا لكان مُحتاجًا إلى غَيرِه وهو الحيّزُ وذلك مُحالٌ في حَقّه لأنّه واجِبُ الوُجودِ لذاتِه، وواجِبُ الوُجودِ لذاتِه لا يكونُ مُحتاجًا لِغَيرِه، فثبَت بذلك استِحالةُ كَونِه مُتحيّزًا.

ويكفي في الاستِدلال العقليّ على أنّه تعالَى واجِبُ الوجودِ لذاتِه أن يُقالَ: صانِعُ هذا العالَم لا يَحُلّ في شيء لأنّه لو حَلّ في شيء إمّا أن يكون عرَضًا أو جوهَرًا، وكلاهُما مُحالٌ ضَرورةً لافتِقار الحالِّ لِمَا يَحُلّ فيهِ، ولا شيءَ مِن المُفتَقِر بواجِب الوجُود.

حُدوثُ السَّماواتِ والأَرَضِينَ

(و)نؤمِن بـ(**أَنَّ السَّمَاوَاتِ**) السَّبعَ (**وَالأَرْضَ**) الّتي نحنُ عليها والسِّتَة الباقيةَ كُلُّ (**مُحْدَثَةٌ**) أي أحدثَها اللهُ عزَّ وجلَّ بعدَ أنْ لَم تَكُنْ، فهي (**مُبْدَعَةٌ**) أي مُخترَعةٌ لا على مِثالٍ سبَقَ خارِجةٌ إلى الوجودِ (**بَعْدَ**) أن كانتْ معدودةً في حَيِّز (**العَدَمِ**) السّابقِ (**كَانَتْ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ**) موجودةً.

وخالفَ في هذه المسألةِ الفلاسفةُ فذَهبوا إلى قِدَم العالَم مِمّا سَمَّوه العُقولَ العشَرة، وقالوا إن الإله عقل محض يعقل ذاته ويصدر عنه أثرُ واحِدٌ لا أثران وهذا الأثر هو عقلٌ واجبٌ بالإله ممكنٌ بذاته، قالوا: وهو أيضًا يعقل الإله ويعقل ذاته، وإذا كان كذلك لزم عنه بما يعقله وجود عقل ثان تحته، وإذا عقل ذاته صدَر عن تعقله لها وجودُ صورة الفلَك الأقصى وكمالُ هذه الصورة وهي النَّفْس ويصدر عنه جِرمية الفلك الأقصى، فهناك على زعمهم إذن ثلاثة أشياء تفيض عن العقل الأول: العقل الثاني، وجِرْمُ الفلك الأقصى، وصورتُه التي هي النَّفْس، وهكذا قالوا إنّه تَحت كلِّ عقل ثلاثةُ أشياء في الوجود: عَقلٌ، وجِرمٌ، ونَفسٌ. قالوا: وهكذا حتى انتَهت الأفلاك إلى الفلَك العاشِر الّذي اعتبرُوه مدبّرَ كلِّ ما تحتَ السطحِ المقعَّرِ لفلَكِ القمَر وأنّه مُكوّنُ ما تحتَ القمرَ مِن العناصر الأربعة: النّار والهواء والماء والتُّراب، وسموَّه عالَم الكَون والفَساد أي فيها الكونُ والفَسادُ بزعمِهم، واعتبرُوا أنّ أنواعَ هذه العَناصر قديمةٌ وأمّا أشخاصُها فحادثةٌ، وهذا الّذي جاؤوا به فلسفةٌ مصادِمةٌ للعَقلِ والشّرعِ.

وقَد وافقَ ابنُ تيميةَ هؤلاءِ الفلاسفةَ في كونِ جِنسِ العالَمِ قديمًا لا أوّل له، فقال في «مجموع الفتاوَى»: "وإنْ قُدِّر أنّ نَوعَها لم يَزَلْ معَه فهذِه المَعِيّة لم يَنْفِها شَرعٌ ولا عَقلٌ".

(وَ)قد أجمعت الأمة على أنّ **(مَنِ اعْتَقَدَ قِدَمَهَا)** أي الحادثاتِ ولو فردًا واحِدًا **(فَقَدْ كَفَرَ)** وخرَج على قضيّة العقلِ، وقد نقَل الإجماعَ على تكفيرِ القائلِ بأزليّة حادِثٍ مِن الحادثاتِ خَلقٌ كثيرٌ كأبي منصورٍ البغدادي والبَدر الزركشِيّ وابنِ قاوان الكيلانيّ وغيرِهم.

وقَد نصَبَ أهلُ السّنة الأشاعرةُ والماتريديّة عشراتِ الأدِلةَ العقليّة التفصيليّة، نذكُر مِنها برهانَ التّطبيقِ الّذي يَهدِمُ قولَ القائِلِ بوجودِ حوادِثَ لا أوّل لها.

بُرهانُ التّطبيقِ بسِلسلتَين

تقريرُ هذا البُرهان أنّهُ لو فُرِضت سلسلةٌ من الحوادث مِن زمنِنا هذا إلى ما لا بداية لهُ، ثُمّ لو فُرِضَت سلسلةٌ أُخرى من زمن الطُّوفان أيّام نُوحٍ عليهِ السّلامُ إلى ما لا بدايةَ لهُ، وفُرِض أن طُبِّقَتِ السِّلسِلتان كُلُّ واحدةٍ فوق الأُخرى مِن طرفَيهما الذي هُو مِن جِهة زمَنِنا الآنَ بحيثُ يكُونُ بإزاء الحادِث الأخير مِن الأُولى الّذي هُو في زمنِنا الآنَ ءاخرُ حادثٍ من السلسلة الثّانية الذي هُو زمنَ الطُّوفان.

وهكذا يُطبّقُ كُلُّ حادثٍ على الآخر جريًا إلى جهةِ الماضي بحيثُ يكُونُ الحادثُ الثّاني من جهة النهايةِ من السِّلسلة الأُولى بإزاء الحادِث مِن جهة النهاية من السلسلة الثّانية، وهكذا، فعلى مُقتضى كلام المُعطِّلة والفلسفيّين وابنِ تيميةَ ومَن وافقَهم في

ادّعاء أزليّة حوادِثَ لا أوّل لها، أنّهُ لو كانت الحوادثُ لا أوّل لها للزم أن تكون السلسلة الأُولى لا تزيدُ على الثّانية لأنّ الأزليّ لا سبقَ لهُ على الأزلي، فكِلتا السِّلسلتَين عندَهُما أزليّتان، وسبقُ الأزلي على الأزلي مُحالٌ، هذا مع أنّ السلسلة الأُولى المفرُوضةَ تزيدُ على الثّانية بحوادثَ حصلَتْ مُنذُ زمَن الطُّوفان إلى زمَنِنا هذا، والقدرُ الزّائدُ هذا مُتناهٍ لا محالةَ، لهُ بدايةٌ ونهايةٌ أي معلُومُ القَدْر، فيحصُلُ التّناقُضُ من جِهتَين:

- بين اعتِبار الأُولى أطولَ من الثّانية بقدرٍ معلُومٍ هو عددُ الحوادث من زمن الطُّوفان إلى الآن وذلك بعد وضع الأخير من هذه بإزاء الأخير من الأُولى.
- وبين اعتبار السلسلتَين مُتساويتَين على فَرْض أنّهُما أزليّتان لا سَبْق لإحداهما على الأُخرى في جهة الماضي.

وهذا البسطُ في شرح بُرهان التّطبيق هُو أسهلُ ممّا ذكرهُ العُلماءُ الذين نقلُوهُ في كُتُبهم سالفًا عن سالفٍ، ولنزدهُ وُضُوحًا بتمثيلٍ شكلُهُ هكذا:

قبل التطبيق:

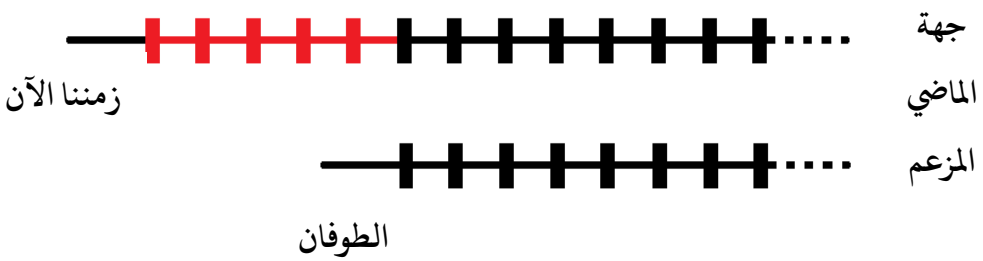

بعد التطبيق:

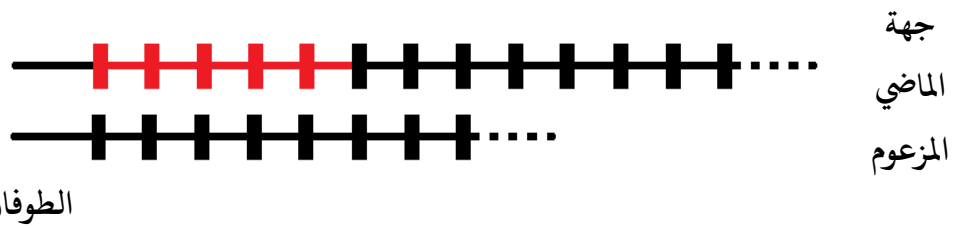

شاهِدُ الإبطال:

بناءً على أصل المَلاحدةِ: السِّلسلتانِ مُتساويتانِ ابتداءً في السَّبْق لأنّهُما على زَعمِهم لا أوّل لهُما فلا تَسبِقُ إحداهُما الأُخرى لأنّ سبقَ الأزلي على الأزلي مُحالٌ، ولَمّا تساوَى بعدَ تطبيقِ طرَفِ السّسلسلةِ الأُولى مِن جِهَتِنا مع طرَفِ السّسلسلة الثّانيةِ حيثُ حدَثُ الطُّوفان، لَزِم عليه أن لا تتساوَيا في الجهة الأُخرى بقَدْر هذ الجُزء، فبطَل بهذا زعمُ تساوِي السِّلسلتين لِتبَيُّن سَبقِ واحدةٍ على الأُخرى في جهةِ الماضي وهُو شاهدٌ لأهلِ السُنّة على إبطال الأزليّة المزعومة للحوادثِ لأنّ الزّمن مقيّدٌ للسلسلتين فلا أزليّة لهُما بل حُدُوثٌ ضرُورةً بشاهِد بدِيهة العَقل.

عِلمُ اللهِ تعالَى شامِلٌ لكلِّ المعلوماتِ

(**وَنُؤْمِنُ**) بلا رَيبٍ (**بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى**) وحدَهُ متّصِفُ بعِلمٍ واحِدٍ أزليّ أبديّ هو به (**عَالِمٌ بِجَمِيعِ المَعْلُومَاتِ**) فهو يعلَم الأزليَّ والحادثَ قبل حدوثِه والممتنِعَ أي المستحيلَ الّذي لا يَصِحُّ وُجودُه، فمتعلَّقات عِلم الله أوسَعُ مِن مُتعلَّقات قُدرَتِه ومَشِيئتِه، أي المعلوماتُ أوسعُ مِن المقدوراتِ، فالقُدرةُ والمشيئةُ صِفتان أزليَّتان أبدِيَّتان كالعِلم القديم الأبدِيّ للهِ عزَّ وجلَّ لكنَّ تعلُّقَهما بالمُمكِنات العقليّة وأمّا تعلُّق العِلم الأزليّ فشامِلٌ للمَعلوماتِ كلِّها، وليسَ هذا بقُصورٍ في قُدرةِ الله ومشيئتِه حاشاهُ.

وعِلمُ اللهِ عزَّ وجلَّ عِلمٌ واحِدٌ لا ابتِداءَ له ولا انتهاءَ، صِفةٌ واحِدةٌ، خِلافًا لِمَن قال مِن أضرابِ الكافِرين: "إنّ عِلمَه الّذي هو صِفَتُه يَتعدَّدُ بتَعدُّد المعلومات"، حاشا للهِ، فإنّ كَثرةَ مُتعلَّقات الصِّفة لا تَجعل الصِّفة الأزليّة للهِ مُتكثِّرةً، تعالَى الله عن ذلكَ.

ويجِبُ الإيمان بأنّه تعالَى (**مُحِيطٌ عِلْمُهُ**) أي شامِلُ التّعلُّقِ (**بِالكُلِّيَّاتِ**) أي المعلوماتِ إجمالًا (**وَالجُزْئِيَّاتِ**) أي وتفصيلًا، خلافًا لابنِ سينا الفيلسوف الّذي قال إنّ الله عالِمٌ بذاتِه وبغَيرِه على المعنى الكُلِّيّ لا أنّه عالِمٌ بدقائق الأمورِ والجُزئيّات، وهذا كُفرٌ شنيعٌ، واحتَجّ بعضُ مَن مسَخ الله قلبَهُ عن الإيمانِ فقالوا: "لأنّ تغيُّر المعلومِ يَستلزِمُ تَغيُّر العِلم، وهو مُستلزِم تغيُّرَ الذاتِ، وذلك مُحالٌ على اللهِ"، وضربوا لذلك بزَعمِهم مثالًا فقالوا:" لو كان زيدٌ قاعدًا في مَكانٍ فاللهُ عالِمٌ بذلك، أمّا بعدَ انصراف زيدٍ من هذا المكانِ، فإن قيل: بَقِي عِلمُ الله بذلكَ فهذا فيه نِسبةُ الجَهل إليه، وإن قيل: لم يَبقَ له عِلمٌ بذلك ففيه نِسبةُ التّغيُّر إليه أيضًا لأنّه قد حصل التغيُّر في العِلم الأوّل"، والرّدُّ على ذلكَ أن يُقال: وجودُ زَيدٍ في مَكانٍ معيَّنٍ في وقتٍ محدَّدٍ حالٌ معلومٌ كما أنّ وُجودَه في مكانٍ ءاخَر في وقتٍ اخَرَ حالٌ معلومٌ أيضًا، فزَيدٌ متغيّرُ الأحوالِ، واللهُ تعالى عالِمٌ بأحوالِ الخَلْق كُلِّها مهما تغيَّرَتْ وتبَدَّلَتْ، فبُهِتَ الّذي كَفَر.

فيُعلَم مِمّا قُلنا أنّ معلوماتِ اللهِ لا حَصرَ لها، مِنها أزليٌّ ومِنها حادِث، فليسَ كُلُّ المعلوماتِ مُتغيّرةً، فالله عزّ وجلّ يَعلَم ذاتَه الأزليَّ وصفاتِه الأزليّة ولا يجوزُ على ذاتِه وصفاتِه التّغيُّر، والحقُّ أنّ وجود زَيدٍ مِن النّاسِ في مَكانٍ ما في وَقتٍ معيَّنٍ هو حالٌ معلومٌ ووجودُه في مكانٍ ءاخرَ حِينًا ءاخرَ حالٌ مَعلومٌ أيضًا، فزَيدٌ هو متغيرُّ الأحوالِ، وأمّا اللهُ تعالى فعالِمٌ بعِلمٍ أزليّ بأحوالِ الخلقِ كُلِّها مَهْما تغيَّرت وتبَدَّلَتْ، فكُلُّ حالٍ

مِن أحوالِ الخَلقِ حادِثٌ، وكلُّ حادِثٍ معلومٌ مِن معلوماتِ الله، فهو تعالَى عالِمٌ بِكُلِّ ما يَجرِي في هذا العالَم.

ثُمّ إنّا نقولُ: لا نِهايةَ لمعلوماتِ الله، فإنّ الموجوداتِ الحادثةِ في الماضي وفي الحالِ وإنْ كانَتْ مُتناهِيةً إلّا أنَّ استمرارَ دُخولِ المُمكِناتِ في الوجودِ في الجَنّة والنّار غيرُ مُتناهٍ، فالحياةُ في الجنّةِ مستمِرّةٌ لا نِهايةَ لها وكذلكَ في النّارِ، أمّا الرّسولُ ﷺ فهو بشَرٌ مخلوقٌ للهِ فعِلمُه مُتناهٍ ومَعلوماتُه مُتناهِيةٌ، خِلافًا لِمَن قال مِن الكفَرةِ: "إنّ الرسولَ يَعلَم كُلَّ ما يَعلمُه الله" مُساوِينَ عِلمَ النّبِيّ بعِلمِ الله عزّ وجلّ، حاشا للهِ وتعالَى عن ذلكَ.

سَمعُ اللهِ عزَّ وجلَّ

ونؤمن أيضًا بأنّ الله تعالى (**سَمِيعٌ**) بسَمعٍ أزَلِيّ أبَدِيّ لا بأذُنٍ ولا بآلةٍ أُخرَى، فسمْعُه لا بطريقِ التخيُّل أو التوهُّم ولا بطريقِ التّأثُّر كالّذي يَحصُل لنا بحاسّة السَّمْع، ولا هو سَمعٌ مشروطٌ بقُربٍ أو بُعدِ مَسافةٍ عن المسموعِ لأنّه سُبحانَه لا يَتحيَّزُ في جِهةٍ ولا يَتمكَّن في مَكانٍ، بل سَمعُه عزَّ وجلَّ لا كسَمع المخلوق الذي يَحصُل له بِقُوّة مُودَعة في مُقعَّر الصِّماخ يتوقّف إدراكُها للأصوات على حصولِ الهواء الموصَل إلى الحاسّة وتأثيرِ الحاسّة.

ثُمّ سَمعُه عزَّ وجلّ شامِلٌ لكلّ المسموعات، وقال بعضُ المتكلّمين: سَمعُه متعلِّقٌ بجميعِ الأشياءِ، فهو تعالى (**يُدْرِكُ**) أي يَسمَعُ بسَمعِه الأزليّ جميعَ (**المَسْمُوعَاتِ**) الأزليّ مِنها والحادثِ، فهو تعالَى يَسمعُ كلامَهُ الأزليّ ويسمَعُ جميع المسموعاتِ الحادثةِ بسمعِه الأزليّ، والدّليل الإجماليّ العقليّ على وجوبِ صِفةِ السَّمعِ له عزَّ وجلّ أنّه لو لم يَكُنْ

سمِيعًا لكان أصمَّ وذلك نَقصٌ يتنزَّه عنه اللهُ سبحانَه تعالَى، والنُّصوصُ الشّرعيّةُ الدّالّةُ على وجوبِ صِفةِ السَّمْعِ له تعالَى كثيرةٌ، مِنها قولُه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

بَصَرُ اللهِ عزَّ وجلَّ

ويجِبُ اعتقادُ أنّه عزَّ وجلَّ (**بَصِيرٌ**) ببصَرٍ أزليّ أبدِيّ ليسَ بجارِحةٍ ولا بآلةٍ أُخرَى، فليسَ إبصارُه عزّ وجلّ للمُبصَرات مشروطٌ بقُربٍ أو بُعدِ مَسافةٍ عن المُبصَر لأنّه سُبحانَه لا يَتحيَّزُ في جَهةٍ ولا يَتمكَّن في مَكانٍ، فهو عزّ وجلّ (**يُدْرِكُ**) يرَى ببصَرِه الأزليّ جميعَ (**المُبْصَرَاتِ**) أي المَرئيَّاتِ، والدّليل الإجماليّ العقليّ على وجوبِ صِفة البصَر له عزَّ وجلّ أنّه لو لم يَكنْ بصِيرًا لكان أعمَى وذلك نَقصٌ يتنزَّه عنه اللهُ سبحانَه تعالَى، والنُّصوصُ الشّرعيّةُ الدّالّةُ على وجوبِ صِفةِ البصَر له تعالَى كثيرةٌ، مِنها قولُه تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾.

وخالَف في ذلكَ بعضُ المعتزلةِ، فذهَب أبو القاسم الكَعبِيُّ مِنهُم ومَن تابَعه من مُعتزِلة بغدادَ إلى أنّ كون اللهِ سَمِيعًا بَصِيرًا أنه عالِمٌ بالمَسموعاتِ والمُبصَرات لا أنّه شيءٌ غيرُ كونِه عالِمًا بالمعلوماتِ، ووافقَه على ذلكَ جماعةٌ مِن النَّجّاريّة مِن المُرجِئة، وذهبَ الجُبّائيُّ ومَن تابعَه إلى أنّ كون اللهِ سَمِيعًا بَصِيرًا يعني أنّه حَيٌّ لا ءافةَ بِه لا أنّه يَسمعُ المسموعاتِ ويَرى المُبصَرات، وكلا المَذهبَين كُفرٌ.

ونؤمِن بأنّ الله عز وجل قد أحاطَ بكُلِّ شيء عِلمًا لا إحاطةَ تمكُّنٍ وتحيُّزٍ لأنّ ذلكَ على الله مُحالٌ، فـ(**سَوَاءٌ**) أي سِيّان (**فِي**) أي بالنِّسبةِ إلى (**عِلْمِهِ**) تعالى ما عُدّ في المعلوماتِ عِندَنا (**أَجْلَى الجَلِيَّاتِ**) أي واضَح الواضِحاتِ عقلًا أو حِسًّا (**وَ**)ما عُدّ

بالنِّسبةِ لَنا (**أَخْفَى الخَفِيَّاتِ**) أي أغمضَها وأسترَها، والجليُّ ضِدُّ الخَفِيّ، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي ولا فوقَهُما ولا تحتَهُما، وتقدّم الرّدُّ قريبًا على شُبهةِ الفلاسفةِ النّافِين شمولَ عِلمِ الله كُلّ المعلوماتِ.

لا يَعزُبُ عَن عِلمِ اللهِ شَيءٌ

وهو اللهُ عزَّ وجلَّ الّذي (**لَا يَعْزُبُ**) أي لا يَغيب (**عَنْ عِلْمِهِ**) مِن المعلوماتِ (**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**) ولا أدنَى من ذلك ولا أكبَر (**فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**) ولا في غيرِهما، وهذا الكلامُ مِن المصّنف رحمهُ الله اقتباسٌ مِن قولِه تعالَى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾، وليسَ معناه أنّ عِلمَ اللهِ محدودٌ بما اشتملَ عليهِ اللَّوحُ المحفوظُ، إنّما الّذي في اللَّوح ما يَدخُل في الوجودِ مِن أوّل الدُّنيا إلى ءاخرِها، أما ما يكونُ بعدَ انتِهاء الدنيا مِمّا في الجنّة والنّار فذاك أمرٌ لا يَدخُل تحتَ الحَصرِ في اللَّوحِ، فلا يُمكِنُ للقلَم أنْ يكتُبَ في اللَّوح كلَّ ما يَحصُل مِمّا لا انتِهاءَ له مِمّا يدخلُ في الوجود إلى ما لا نهايةَ له مِن حرَكات أهلِ الجَنّةِ وحركاتِ أهل النّارِ وتصَرُّفاتِهم الّتي لا نهايةَ لها، فكُلُّ فَردٍ مِن الحادِثات في الآخرةِ والفِعل والسُّكونِ له انقضاءٌ، أمّا مِن حيثُ إنّ كُلَّ حادِثٍ بعدَه حادِثٌ في جِهةِ المُستقبَل فهذا الّذي لا ينقطِعُ ولا يَنقضِي في الجنّة ولا في النّار، ولذلك لا يُمكِنُ حَصرُ ذلكَ في اللَّوحِ المحفوظِ، أمّا اللهُ فيَعلمُ أعمالَ أهلِ الجنّة جُملةً وتفصيلًا ويعلَم أنفاسَ أهلِ الجنّةِ بعِلمِه الأزليّ، فلا يَتناهَى عِلمهُ عزّ وجلّ ولا يَنقطع ولا يتغيَّرُ أو يصيرُ غيرَ متعلِّقٍ بمَعلومٍ، تقدَّس اللهُ وتنزَّه عن أن يُحِيط به فِكرٌ أو يَصِلَ إلى إدراكِ

حقيقَةِ ذاتِه أو صِفةٍ مِن صفاتِه عَقلٌ، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قُدرَةُ اللهِ عزَّ وجلَّ

(وَ)يجِبُ أنّ نؤمن (**بِأَنَّهُ**) أي اللهَ عزَّ وجلَّ (**قَادِرٌ**) بقُدرةٍ أزليّةٍ أبديّةٍ تامّة لا قُصورَ فيها ولا نَقصَ، وهو بها قادِرٌ (**عَلَى جَمِيعِ المُمْكِنَاتِ**) جَمعُ مُمكِن وهو ما جازَ عقلًا وجودُه تارةً وعدَمُه أُخرَى.

امتِناعُ دُخولِ المقدورِ تحتَ قُدرتَينِ

ومِن الدّليل على أنّ جميعَ المُمكِنات واقعةٌ بقُدرةِ الله عزّ وجلّ أدِلّةٌ، منها أنّ كلَّ مُمكِن مَفرُوضٍ فإنّ الله تعالى قادِرٌ علَيه مُنفرِدٌ بإيجادِه، فلَو فُرِضَ حُصولُ المُمكِن بقُدرةٍ أُخرَى لأدّى ذلكَ إلى القول باجتِماع قُدرتَينِ على أثَرٍ واحِد، وذلك مُحالٌ لأنّه:

- إمّا أن يُفرَض أنّ كُلَّ قُدرةٍ مُؤثّرةٌ في المقدورِ معًا: فذلكَ يعني احتياجَ أحدِهما إلى الآخَرِ مِن أجلِ إمضاءِ الأثَر على المقدور، ويستحيلُ أن يكونَ الله مُحتاجًا، فبطَل هذا الفَرْض.
- وإمّا أن يُفرَضَ أنّ قُدرةَ أحَدِ القادرَين تؤثّر في المقدورِ وحدَها دُونَ قُدرة الآخَرِ: فأحَدُهما مغلوبٌ، واللهُ تعالَى لا يجوزُ أن يكونَ مغلوبًا بل هو القاهرُ لكلّ شيءٍ.

فتبيَّن بذلكَ أنّ الأثرَ الّذي يُوجَد هو بخَلقِ قادرٍ واحِدٍ لا غيرُ، وهو اللهُ تعالَى.

فإنْ قيل: كيفَ يكونُ بعضُ أفعالِ العبدِ مخلوقةً للهِ بُقُدرتِه أوجدَها مع أنّ العبدَ باشرَها بُقُدرتِه وإرادتِه، وهذا دخولٌ للمقدورِ تحتَ قُدرتَين.

قُلنا: دُخولُ المَقدورِ تحتَ قُدرةِ الاختِراعِ وكونُه مقدورًا للهِ خَلْقًا ودُخولُه تحتَ قُدرةِ العَبدِ اكتِسابًا جائِزٌ، وإنّما المُحالُ اجتِماعُ مُؤثِّرَين مُنفرِدَين على أثَرٍ واحِدٍ لِما بَيَّنّا عَقلًا.

مُتعلَّقاتُ قُدرةِ الله عزَّ وجلَّ

وأمّا القولُ في تعلُّقِ قُدرةِ اللهِ الأزليّة، فإنّ الحَقّ أنّ قُدرتَه عزّ وجلّ لا تَتعلَّق بالواجِب الوجودِ ولا بالمُستحيلِ العقليّ، لأنّ القُدرةَ صِفةٌ تُؤثِّر إيجادًا وإعدامًا في المُمكِن العَقليّ، ومِن لازِم الأثَر وُجودُه بعدَ عدَمٍ، فما لم يَكُن قابِلًا للعدَم أصلًا - وهو الواجِبُ الوجودِ - لَم يَصِحّ أن يكونَ أثرًا للقُدرة وإلّا لَزِم تحصيلُ حاصلٍ أي إيجادُ موجودٍ وهو مُحالٌ، وما لا يَقبَلُ الوُجودَ أصلًا وهو المُستحيلُ العقليّ لا يَصِحّ أنْ يكونَ أثرًا للقُدرة، وإلا لَزِم صَيرورةُ المُستحِيل جائِزًا، وفي ذلكَ قلبٌ للحقائِق، وقَلبُ الحقائِق مُحالٌ.

فيُفهَم مِن ذلكَ البيانِ أنّ وظِيفةَ القُدرةِ الأزليّة للهِ إيجادُ المُمكِن وإعدامُه وأنّه لا تعلُّقَ للقُدرةِ بالواجِب والمستحيلِ وإلّا لَزِم على زَعِم المُعانِد في ذلكَ مُحالاتٌ مِنها القولُ بإعدامِ القُدرةِ صِفاتِ اللهِ وذاتِه وأن تُعدِمَ القُدرةُ نفسَها، وهذا مستحيلٌ، تعالى الله عن ذلكَ عُلُوًّا كبيرًا.

وقَد شَذَّ في هذه المسألة ابنُ حَزمٍ الأندلسيّ، فقد زعَم أنّ الله تعالى قادِرٌ على أنْ يَتَّخِذَ ولدًا والعياذُ بالله، واحتَجَّ بزَعمِه لذلكَ أنّه لو لم يَقْدِر اللهُ على ذلكَ لكانَ عاجِزًا، وهذا الاعتقادُ كُفرٌ وضلالٌ بعيدٌ، وجوابُ هذا ومِثلِه أن يُقال: إنّ اتّخاذَ الولَد على اللهِ مُحالٌ، والمُحالُ العقليّ ليسَ مِن مُتعلَّقات القُدرة الأزليّة.

لا شيءَ رادّ لتَقديرِ اللهِ ومُرادِه

ويجِبُ الإيمانُ بأنّ الله عزّ وجلّ قادِرٌ على تَكوِين ما أرادَ، فلا يُعجزُه عزّ وجلّ شيءٌ و(**لَا يَمْنَعُ قُدْرَتَهُ**) أن يُوجِدَ الله بها ما شاءَ (**مَانِعٌ**) بل كُلُّ ما سوَى اللهِ مِن الحادثاتِ مقهورٌ بقُدرتِه، قال تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ أي لا غالِبَ له، (**وَلَا يَدْفَعُ**) أي لا يرُدُّ (**مَشِيئَتَهُ**) أي إرادتَه عزَّ وجلَّ لِمَا يَشاءُ (**دَافِعٌ**) بل لا يكونُ في الوجودِ شيءٌ مِن الحادثاتِ إلّا على وَفقِ مشيئة الله عزّ وجل، قال تعالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾. فلا رادّ لحُكمِه تعالَى ولا مُعَقِّب لقضائِه عزّ وجلّ، ولا مَهرَب لعَبدٍ مِن مَعصيتِه إلا بتوفِيقِه تعالَى ورَحمتِه، ولا قُوّة لعَبدٍ على طاعَتِه إلا بإرادَتِه وفَضلِه، ولو اجتمَع الإنسُ والجِنّ والملائكةُ والشَّياطينُ على أنْ يُحرِّكوا في العالَم ذَرّةً أو يُسَكِّنُوها دونَ إرادتِه عزّ وجلّ ومَشِيئتِه لَعجَزُوا عن ذلكَ.

قُدرةُ اللهِ علَى المُمكِناتِ مِن غيرِ مِزاجٍ ولا عِلاجٍ

(**قُدْرَتُهُ**) تعالى (**عَلَى الأَشْيَاءِ**) أي المُمكِناتِ (**بِلَا مِزَاجٍ**) بمعنَى مَزْجٍ أي بلا مُخالَطة بها واجتماعٍ واستعانةٍ، فهو تعالَى قادِرٌ على تكوِينِ ما أرادَ مِن غيرِ مُعِينٍ لهُ أو وزِيرٍ،

وهي قُدرةٌ تامّةٌ ليسَتْ كقُدرتِنا الحادِثةِ، فالفَردُ مِنّا يحتاجُ إلى من يُساعِدُه في حَملِ الشّيءِ الثّقِيلِ فيحصُلُ مِزاجٌ أي مزجٌ واجتِماعٌ لِطاقتِنا وطاقةِ غيرِنا على حملِ هذا الشّيءِ الثّقِيلِ، أمّا اللهُ تعالى فهُو غنِيٌّ عنِ العالمِينَ ولا يُعجِزُه شيءٌ.

(وَصُنْعُهُ) عزّ وجلّ **(لَهَا)** أي المصنوعاتِ **(بِلَا)** مباشرةٍ ولا **(عِلَاجٍ)** أي ولا مُماسّةٍ، أرأيتَ الخبّاز إذا أرادَ أن يُعالِج العَجِين ليَصنَع الخُبز كيف يفعلُ، وكذلِك الحدّادُ يُعالِجُ الحدِيد المُذابَ إذا أراد تَصوِيرَ شَكلٍ مِن حدِيدٍ، أمّا اللهُ تعالى فيخلُقُ ما يشاءُ بِلا مُباشرةٍ ولا مُماسّةٍ ولا تعَبٍ ولا تحيُّزٍ ولا تغيُّرٍ يَلحَقُه في ذاتِه أو صِفاتِه.

وهذا الكلامُ الّذي ضمَّنهُ المصّنفُ هنا رسالَته أصلُه ما رواهُ الحافِظُ ابنُ عساكِر في «تارِيخِ دِمشقَ» عن يوسفَ بنِ الحسينِ قال: سمِعتُ ذا النُّونِ المصرِيَّ يقولُ وقد سُئِل عنِ التّوحِيدِ: «**أنْ تَعلَم أنّ قُدرةَ اللهِ في الأشياءِ بِلا مِزاجٍ، وصُنعَهُ للأشياءِ بِلا عِلاجٍ، وعِلّةُ كُلِّ شيءٍ صُنعُهُ ولا عِلّة لِصُنعِه، وليسَ في السّماواتِ العُلَى ولا في الأرَضِينَ السُّفلَى مُدبِّرٌ غيرُ اللهِ، وكُلُّ ما تَصَوَّرَ في وَهْمِك فاللهُ بِخِلافِ ذلِكَ**».

أمّا قولُه رضي الله عنه: "وعِلّةُ كُلِّ شيءٍ صُنعُهُ ولا عِلّة لِصُنعِهِ" فمعناهُ اللهُ خالِقُ الأسبابِ وخالِقُ المُسبّباتِ، خالِقُ العِلَلِ والمعلُولاتِ، فسببُ وُجودِ البشرِ هُو ءادمُ رسُولُ اللهِ ﷺ، وكذلِك وُجُودُ حركةِ خاتَمٍ ما مركُوزٍ في إصبعٍ سببُهُ حركةُ الإصبعِ نفسِهِ، واللهُ تعالى خالِقٌ لِكُلِّ ذلِك، أمّا هُو سُبحانهُ فليس لِوجُودِه عِلّةٌ ولا سَببٌ، بل هو القدِيمُ الأزلِيُّ الأبدِيُّ، يَفعلُ ما يشاءُ وليس لِفِعلِه عِلّةٌ ولا لِحُكمِهِ مُعقِّبٌ.

وأمّا قولُه رضي الله عنه: "وليسَ فِي السّماواتِ العُلَى ولا فِي الأرَضِينَ السُّفلَى مُدبّرٌ غيرُ اللهِ" فمعناهُ أنّه ليس لِلعالمِ العُلوِيّ والسُّفلِيّ وما فِيهِما وما بينهُما مُدبّرٌ إلّا اللهُ، والتّدبيرُ هُو جعلُ كُلِّ شيءٍ على ما هُو عليهِ، وليستْ تُفِيدُ "فِي" أوّلَ الكلامِ أنّ الله محصُورٌ موجُودٌ فِي السّماواتِ والأرضِ أو في غيرِ ذلكَ مِن الأماكِن، حاشا للهِ، بل هذا نظِيرُ قولِهِ تعالى: ﴿لَوۡكَانَفِيهِمَآ﴾ أي لَهُما يعني لو كان لِلسّماواتِ والأرضِ ﴿ءَالِهَةٌ﴾ أي إلهٌ يُدبّرُهُما ﴿إِلَّا﴾ أي غيرُ ﴿ٱللَّهَلَفَسَدَتَا﴾ ولكِنّه لا إله إلّا اللهُ.

وأمّا قولُه رضي الله عنه: "وكُلُّ ما تَصَوَّرَ فِي وَهْمِك فاللهُ بِخِلافِ ذلِكَ" أي عُقُولُنا لا تُدرِكُ الله ولا تتَصورُهُ أي لا تتخيّلُهُ لِأنّهُ ليسَ شكلًا ولا له صُورةٌ، فلا تُدرِكُهُ أوهامُنا وخواطِرُنا، بل تَعتقِدُ أنّه اللهُ الذي لا إلٰه إلّا هو الّذي يَجِبُ له كُلُّ كمالٍ يليقُ به والمنزّهُ عن كُلِّ نقصٍ في حَقِّه. وليس معنى قولِه رضي الله عنه: "بِخِلافِ ذلِك" أنّهُ إذا تصَوّر جاهِلٌ أنّ الله لهُ لونٌ أبيضُ أنّ الله يكُونُ لهُ لونٌ ءاخرُ عكسُ الأبيضِ وهُو الأسودُ، حاشا للهِ، ولا أنّه إذا تصوّرهُ جاهِلٌ ءاخرُ أنّهُ مُتحرّكٌ يعني ذلِك أنّ الله يكُونُ ساكِنًا، تعالى اللهُ عن ذلِك كُلِّهِ، بلِ اللهُ لا يُشبِهُ المخلُوقاتِ بِصِفةٍ مِن الصِّفاتِ، إنّما معنى "بِخِلافِ ذلِك" أي لا يُشبِهُ ذلِك بِالمرّةِ.

إرادةُ اللهِ عزَّ وجلَّ

(وَ)نؤمن (**بِأَنَّهُ**) تعالى (**مُرِيدٌ**) أي مُتّصِفٌ بالإرادة الأزليّةِ الأبدِيّةِ، وإرادتهُ عزَّ وجلَّ صِفةٌ له تتعلّق بالمُمكِنات العقليّة، فهو عزَّ وجلَّ (**مُخَصِّصٌ**) بإرادَتِه الأزليّةِ (**بَعْضَ**

الجَائِزَاتِ) أي المُمكِناتِ العقليّةِ **(بِالوُجُودِ)** بَدَلَ العدَمِ **(دُونَ بَعْضٍ)** غيرِها مِن المُمكِناتِ الّتي لَم يشإِ اللهُ لَها أنْ تَدخُلَ في الوجودِ.

وما أوجَدَه الله بُقدرَتِه فهو كائِنٌ **(عَلَى حَسَبِ)** أي وَفقِ **(مَشِيئَتِهِ)** الأزليّةِ، فبِقُدرَتِه عزّ وجلّ أوجَدَ كُلَّ ما في هذا العالَم، **(وَيُمَيِّزُ)** للخَلقِ **(صِفَاتِ بَعْضِهَا)** أي المصنوعاتِ **(عَنْ بَعْضٍ)** وهو عالِمٌ بما تكونُ علَيهِ المصنوعاتُ مِن قبلِ أن تَدخُلَ في الوجودِ **(عَلَى حَسَبِ)** أي وَفقِ **(إِرَادَتِهِ)** أي مشيئتِه، وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصَص: ٦٨].

مَذاهِبُ الكرَّامِيّة والفلاسِفة في الإرادةِ

والإرادةُ والمشيئةُ لفظانِ مُترادِفان في لُغةِ العرَب وهو الّذي عامّةُ المُتكلِّمين مِن أهلِ السُّنّة، ومشيئةُ اللهِ إرادَتُه وهي متعلّقةٌ بالمُمكِناتِ مع أنّها صِفةٌ واحدة لا انقِسامَ فيها وإنْ وَقَعَ التّعدُّد في مُتعلَّقاتها، خِلافًا لِمَن زَعَم مِن أهلِ الضلالِ لُزومَ تعدُّدِ الصّفةِ بتعدُّدِ المُتعلَّق.

وخالَف في ترادُفِ معنَى الإرادةِ والمشيئةِ الكَرّامية ففَرَّقوا بينَهما فقالوا: "المَشِيئةُ صِفةٌ واحِدةٌ أزلِيّةٌ تتَناولُ ما يَشاءُ اللهُ بها مِن حَيثُ تَحدُث، والإرادةُ حادِثةٌ مُتعدِّدةٌ بعَدَد المُراداتِ"، وذلك قولٌ باطِلٌ مخالِفٌ للُّغة والعُرفِ.

وفي إثباتِ صِفةِ الإرادةِ الأزليّة الأبديّة للهِ عزَّ وجلَّ رَدٌّ على الفلاسِفةِ الّذينَ زَعَموا أنّ اللهَ تعالى موجِبٌ بالذّاتِ لا فاعِلٌ بالإرادةِ والاختِيار، ورَدٌّ على النَّجّارِيّة القائلينَ الّذينَ

زَعَموا أنّ اللهَ مُرِيدٌ لا بصِفةِ الإرادةِ، ورَدٌّ على بعضِ المعتزِلة الّذينَ زَعَموا أنّ اللهَ مُرِيدٌ بإرادةٍ حادثةٍ لا في محَلٍّ، ورَدٌّ على الكَرّامِيّة فيما تقدَّمَ.

عُمومُ مَشِيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ

واعلَم أنّ مذهبَ أهلِ الحَقِّ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ أنّه لا واجِبَ علَى اللهِ تعالَى، بل هو عزَّ وجلَّ يَتصرَّف في مُلكِه على حسَب إرادَتِه ومَشِيئته، وخالف في ذلكَ طوائفُ مِن المعتزلةِ فقالوا: "يجِبُ على الله تعالى مِن طريقِ الحِكمةِ أنْ يَخلُقَ الخَلْقَ ابتِداءً، وإذَا خلَقَ الّذِين عَلِم إنّهُ يُكَلِّفُهم فإنّه يَجِبُ عليه أن يُكَمِّلَ عُقولَهم ويُزِيحَ العِلَل حتّى يُؤمِنُوا بِه، ويَجِبُ عليه أنْ يَفعلَ ما هو الأصلَحُ لهم في دِينِهم ودُنْياهم" وهذه المقالاتُ مصادِمةٌ للعقلِ والنَّقلِ كُفرٌ صُراحٌ وضلالٌ مُبِينٌ، فإنّه لا يجِبُ على الله شيء، إنْ أنعَمَ فبِفَضلِه وإنِ انتقَم فبِعَدْلِه، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونُس: ٩٩] ولكنّ الله تعالَى لَم يشَأْ ذلكَ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النَّحل: ٩]، وقال أيضًا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النَّحل: ٩٣].

فهو تعالَى خالِقُ الاهتِداءِ في قُلوبِ المُؤمنِين ومُوَفِّقُهم فضلًا منه وتكَرُّمًا لأنّه خالِقُ الضَّلالةِ في قُلوبِ الكافِرين عدلًا منه لا ظُلْمًا لأنَّ الظُّلْم مُستحِيلٌ على الله تعالَى عقلًا وشرعًا:

- **أمّا عقلًا**: قال البدر الزّركشيّ في «تشنيف المَسامِع»: "فلأنّ الظُّلمَ إنّما صارَ ظُلمًا لأنّه مَنهِيٌّ عنه، ولا يُتَصَوَّر في أفعالِه تعالَى ما يُنهَى عنه إذْ لا يُتَصَوَّر له نَاهٍ، ولأنّ

العالَم خَلقُه وملكُه، والمُتَصَرِّف في ملكِه يَستحِيلُ وَصفُه بالظُّلم، وأيضًا فلا يُتَصَوَّر إلّا على مَن يُتَصَوَّر في حَقِّه الجَهلُ لأنّه وَضعُ الشيءِ في غَيرِ مَوضِعه، وأمّا مَن أحاطَ عِلمُه بالأشياءِ ومَواقِعها فَلا، والمُخالِفُ في هذه المسألةِ القَدَرِيَّةُ قالوا: "إنّ القَدِيمَ يَصِحُّ منه الظُّلمُ لكِن لا يَظلِمُ لِكَونِه قَبِيحًا".

- **وأمّا نقلًا**: فكثيرٌ مِنه قولُه تعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ءال عِمران: ١٨٢]، وقال رسولُ الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ**» رواه أبو داودَ وابنُ ماجَهْ والنَّسائي.

ومِن أقوَى الرُّدودِ على المُعتزلةِ ما رَوَاهُ الحافظُ البيهقي في «القضاء والقدَر» بالسَّندِ إلى محمد بن عليّ الباقِر عن أبيه قال: قال أبي الحُسينُ بنُ عليّ بن أبي طالِبٍ رضي الله عنهم: «واللهِ ما قالَتِ القدَرِيّةُ بِقَولِ اللهِ ولا بِقَولِ المَلائكةِ ولا بِقَولِ النَّبِيّينَ ولا بِقَولِ أهلِ الجَنّةِ ولا بِقَولِ أهلِ النّارِ ولا بِقَولِ صاحبِهم إبليسَ»، فقالوا له: تُفَسِّرُه لنا يا ابنَ رَسولِ الله، فقال: «قال اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآيةَ [يونس: ٢٥]، وقالتِ الملائكةُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، وقال نوحٌ عليه السَّلامُ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هُود: ٣٤]، فأمّا مُوسَى عليه السَّلام فقال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٥٥]، وأمّا أهلُ الجنّةِ فإنّهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وأمّا أهلُ النّارِ فإنَّهم قالوا: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١] الآيةَ، وأمّا أخُوهُم إبليسُ فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى

لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٦]، فزعَمَتِ القدَرِيّةُ بأنَّ اللهَ لا يُغوِي».

اللهُ عزَّ وجلَّ فاعِلٌ بالاختِيارِ لا بالإيجابِ

(وَصُدُورُ العَالَمِ) خَلقًا أي خَلقُ العالَم كائنٌ (عَنْهُ) أي (بِـ)ـإيجادِ الخالِقِ لهذا العالَم اختيارًا مِنه لا أنّ الخالِقَ جزءٌ مِن العالَم أو أنّه حالٌّ فيه، تنزَّه اللهُ عمّا يقولُ أهلُ الحُلولِ والاتِّحادِ مِن التّجسيمِ له تنزُّهًا عظيمًا، فكلُّ موجودٍ هو بتخصيصِ (المَشِيئَةِ) مِنه عزَّ وجلَّ موجودٌ (وَ)بـ(ـالقُدْرَةِ) الأزليّة أخرَجَه تعالَى مِن العدَمِ إلى الوجودِ.

وخالفَ في هذه المسألةِ كثيرٌ مِن الفلاسفةِ فقالوا: "وجودُ العالَم هو مِن الله بالإيجابِ" أي لا باختيارِه يريدون بذلك بأنّه مُوجِب بالذّاتِ أي وُجِدَ العالَم على زَعمِه لمجرَّد أنّ الصانِعَ موجودٌ لا أنّ له اختيارًا وإرادةً، وهو كُفرٌ صريحٌ مِنهُم، والجوابُ عليهِم مِن وجوهٍ، منها أنّه لو كانَ تأثيرُ الصّانِعِ في وُجودِ العالَم على سَبِيلِ الإيجابِ كما زَعَمتِ الفلاسفةُ لَزِم أنْ لا يَتخلَّف العالَم عنه في الوُجودِ، فيَلزَم على مقالتِهم إمّا قِدَمُ العالَم وإمّا حدُوث الصّانِع، والأمرانِ باطِلانِ فوَجَب أنْ لا يَكونَ مُوجِبًا بالذّاتِ بل فاعِلٌ بالاختيارِ وليس وجودُ العالَم عن اقتضاءِ وُجودِه تعالَى كما زعمَتِ الفَلاسِفةُ.

كَلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بـ(ـأَنَّهُ) عزّ وجلّ (مُتَكَلِّمٌ) بكلامٍ أزليّ أبدِيّ صِفةٌ واحِدةٌ له، فكلامُهُ عزَّ وجلَّ لا يُبتدأُ ولا يُختَتمُ، ولا يَنقطِعُ ولا يَتقطَّعُ ولا يُستأنَفُ ولا يَتوالَى

ولا يَتتابَعُ، وقال أبو حنيفةَ رضي الله عنه في «الفِقه الأكبَر»: "ويَتكلَّم لا ككَلامِنا ويَسمَع لا كسَمْعِنا، ونحنُ نَتكلَّمُ بالآلاتِ والحُروفِ، واللهُ تعالَى يَتكلَّم بِلا ءالةٍ ولا حُروفٍ، والحُروفُ مَخلوقةٌ، وكَلامُ اللهِ تعالَى غيرُ مَخلوقٍ".

واللهُ عزَّ وجلَّ بكلامِه (ءَامِرٌ نَاهٍ) واعِدٌ مُتوعِّدٌ مُخبِرٌ مُستَخبِرٌ، وهو كلامٌ أزَلِيٌّ واحِدٌ لا يَتعَدَّد ولا يَتجَزَّأُ، إلّا أنّ هذه الوجوه السِّتَّة ترجِعُ إلى اعتباراتٍ في الكلامِ لا إلى تَعَدُّدٍ في صفة الكلام الذاتِيّ.

فإن قيل: كيف يَصِحُّ أن تَكون حَقِيقةٌ واحِدةٌ هي أمرًا ونهيًا وخَبَرًا معَ أنّ هذه الأمور مُخْتلِفةٌ؟

قُلنا: قد أجاب المتكلِّمون عن هذه المسألة بإسهابٍ إلّا أنّ بعضَهُم أوضَحَها بِالْمِثال كأَبِي الثَّناءِ القُونَوِيّ الحَنَفِيّ في شرحِه على الطَّحاوِيّة، فقد ضَرَب لَها مِثالًا فشَفى به وكَفَى وهو أنّه لو كان عند رجلٍ خَدَمٌ فاصطلَح لِلكُلِّ كلمة "زَيْد" على مفاهيمَ شَتَّى، يَفهَمُ منها الخادم الأوَّلُ إذا سمعها الأمرَ بكذا، ويَفهَمُ الخادمُ الثاني مِنهَا النَّهْيَ عن كذا وهكذا إلى ءاخر السِّتةِ الأنواع، فهذا يُتَصَوَّرُ في المخلوقِ ولا يَنْفِي كونَ كلامِ المتكلِّم واحِدًا، إلا أنّه لا يَجوزُ مُحاولة المرء تَصَوُّرَ حقيقةِ كلام الله الذاتيّ ولن يَصِل الإنسان مَهما حاوَل، لأنّ كلامَ الله ليس حرفًا ولا صَوتًا ولا لهُ صُورةٌ يُتَصَوَّرُ علَيها في الأذهان، بل كلامُ اللهِ الذاتيُّ هو كلامٌ واحِدٌ لا مَدْرَك للعُقُول إلى حَقِيقتِه كما أنّه لا مَبْلَغ للعَقْل في معرفة حقيقةِ صِفةٍ من صفاتِ الله الذاتِيَّة.

وبتعبيرٍ ءاخَر يُقال: إنّ الكلام الواحد باعتبارِ تعلُّقِه بشيء على وجهٍ مخصوصٍ يكون خبرًا، وباعتبار تعلُّقِه بشيء ءاخَر أو على وجهٍ ءاخر يكون أمرًا وكذا يقال في الأنواع

البواقي، وما أحسَن قولِ الشيخ أبي المحاسِن القاوقجي الحنفي (ت ١٣٠٥هـ) القائِل: "فلو كُشِف عنّا الحجابُ وسَمِعْنا الكلام الإلهيَّ لفَهِمْنا مِنهُ الأمرَ كـ"وأقِيمُوا الصَّلاة"، والنَّهيَ كـ"ولا تَقرَبوا الزِّنا" ونحو ذلك".

فوَضَح بما بَيَّنّا أنّ اختِلافَ التَّعبيراتِ عن كلامِه تعالَى ليس لِتَعَدُّدٍ في صِفَتِه الذاتية، حاشا لله، إنّما التَّعَدُّد راجِعٌ إلى الْمُتَعَلَّقَات الحادِثةِ كما أنّ مقدوراتِ الله الحادثةَ متعَدِّدةٌ والقُدرة الأزليّة لا بَدْءَ زَمانِيَّ لها ولا انقضاءَ بل هي قُدرةٌ واحِدةٌ بها يُوجِد ما يشاءُ الله ويُعدِمُ.

القُرءانُ كلامُ اللهِ

وقد (**أَنْزَلَ**) الله تعالَى الكُتبَ السّماويّة على أنبيائِه، فأنزلَ صُحفًا على إبراهيمَ والتّوراةَ على مُوسَى والزَّبورَ على داودَ والإنجيلَ على عيسَى و(**القُرْءَانَ المَجِيدَ**) أي العَظِيمَ (**عَلَى نَبِيِّهِ**) ورسولِه أفضَلِ الأنبياءِ وسيّد ولَدِ ءادَمَ أجمعِينَ (**مُحَمَّدٍ** ﷺ) نزلَ به جِبريلُ على رسولِ الله محمَّد ﷺ نُجومًا في ثلاثٍ وعشرينَ سنَةً، وقَد جعلَ الله عزَّ وجلَّ في القُرءانِ (**هُدًى لِلنَّاسِ**) إلى الحَقِّ (**وَ**)جعَلَهُ (**بَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى**) أي ءاياتٍ واضِحاتٍ بها الهِدايةُ إلى الحَقِّ (**وَ**)جاءَ الكتابُ بـ(**الفُرْقَانِ**) أي فارِقًا بينَ الحَقِّ والباطِلِ، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قال بعضُ المفسّرين: فإنْ قِيل: ما معنَى قَولِه: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ بعد قوله ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؟ قُلنا: كأنّه قال: القرءانُ هُدًى للنّاسِ على الإجمالِ

وبَيِّناتٍ مِن الهُدَى والفُرقانِ علَى التّفصِيل، لأنّ البَيِّنَاتِ هي الدِّلالاتُ الواضِحاتُ الّتي تُبَيِّنُ الحلالَ والحرامَ والحدودَ والأحكامَ.

والقرءانُ هذا الكتابُ العزيزُ لا يَأتِيه الباطِلُ مِن بَينِ يدَيهِ ولا مِن خَلْفِه أي حَفِظَه اللهُ مِن التّحريفِ في ألفاظِه ولَم يشأْ أنْ يُحفَظَ التّوراةُ الأصليُّ والإنجيلُ الأصليّ، قال الله تعالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ أي القرءانَ ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

القُرءانُ لهُ إطلاقانِ

والقرءان له إطلاقانِ أي مَعَنيانِ:

أحدُهما: إطلاقه على كلام الله الذّاتي الأزلي الأبدِيّ الّذي لا يتجزّأ ولا يَتبعّض، الّذي ليس هو عربيًّا ولا سريانيًّا ولا غيرَهما من اللّغات، فالقرءانُ بهذا المعنى قديمٌ أزليٌّ قطعًا، وهو كلام الله، والأدِلّة على هذا الإطلاقِ كثيرةٌ جمّةٌ.

والثّاني: إطلاقُه على اللّفظ المُنزَّل على سَيِّدنا محمّد ﷺ لإعجازِ الكُفّار المعارِضِين له بأقصَرِ سُورةٍ مِنه، ويسمّى هذا اللّفظُ أيضًا كلامَ الله لأنّه دالٌّ على كلامِ الله الذّاتيّ وهو عبارةٌ عنه.

تَنَزُّهُ اللهِ عَن مُشابَهةِ الحَوادِث

(وَ)يجبُ الإيمانُ بـ(**أَنَّهُ**) عزّ وجلَّ لا يُشبِهُ شيئًا و(**لَا يُشْبِهُهُ شَيءٌ مِنَ المُحْدَثَاتِ**) ولا بوَجهٍ من الوجوه لأنَّ المتشابهات ما يجوز على بعضِها يجوز على كلّها، فلو شابَهَ الله

عزّ وجلّ شيئًا من الحوادث لجاز عليه ما يجوز عليها مِن الحدوثِ والفَناء والتّغيُّرِ، وَلَمّا كان اللازم باطلًا كان الملزوم كذلك.

فمعنَى المخالَفة للحوادِث في حَقِّ الله عزَّ وجلَّ نَفيُ الجِرميّة والعَرَضِيّة عن اللهِ تعالى أي أنّه ليس هو تعالى جِرْمًا ولا عَرَضًا قائمًا بالجِرْم، ولا يُوصَف تعالَى بحرَكةٍ ولا سُكونٍ، ولا بمَكانٍ ولا بزَمانٍ، ولا جِهةٍ مِن الجهات السِتّ، فليس له تعالَى جِهةٌ ولا هو كائِنٌ في جِهةٍ مِن الجِهاتِ، وتنزَّه اللهُ جَلَّ جلالُه عَن الكَيفِ وعن الكِبَر والصِّغَر، وعن القُربِ والبُعدِ بالمَسافة.

وكم هي سورةُ الإخلاص عظيمةٌ وفيه دِلالاتٌ لمُخالفتِه تعالَى للحوادِث، ففيها بيانُ أنهَ ليسَ شيء يولد إلا يموتُ، وليس شيء يموتُ إلا يُورَث، والله لا يموتُ ولا يُورَث، ولم يكن له شِبهٌ ولا مِثلٌ، ليس كمثله شيءٌ.

وقد قال الإمام أبو علي الرُّوذْباري تلميذُ سيّد الصوفية الصادقِينَ في زمانِه بلا منازع الإمامُ الجُنَيد رضي الله عنهما: "وجَدْنا أنواع الشِّرْك ثَمانيةً: النَّقْص والتَّقَلُّب والكَثْرة والعَدَد وكَونَه عِلّةً أو مَعلولًا والأشكالَ والأَضْدادَ، لذلك سُمِّيَت سورةَ الإخلاص"، ويروَى كذلك عن أبي عليّ الدَّقّاق رضي الله عنه

(وَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِهِ) عزَّ وجلَّ **(صِفَاتُ)** أحَدٌ مِن **(المَخْلُوقَاتِ)** ولا تُشبِهُ صفاتُهُ صفاتِ الحوادِث، لأنّ صفاتِه ليسَت بأعراضٍ.

فإنْ قيل: أليسَ يقال إنَّ الله موجود كما يقال إنَّ العالَم موجودٌ، ويقال إنّ الله عالم كما يقال إنّ الشافعِي عالِمٌ فلَزِم نوعُ مُماثلةٍ ومُشابهةٍ، فالجواب: أنَّ ذلك هو محضُ

اتفاقٍ في اللَّفظ وهو لا يَقتضِي المماثَلة أو المُشابَهة، وبيانُه أنَّ وجودَ البارِئ جلَّ جلالُه أزليٌّ أبديٌّ مِن قبيلِ الواجِب العَقليّ، ووُجودُ العالَم حادِثٌ مِن قَبِيل المُمكِنات، وعِلمُ البارِئ عزَّ وجلَّ أزَلِيٌّ أبدِيٌّ مُحِيطٌ بجَميعِ المَعلوماتِ، وعِلمُ الشافعِيّ وغيرِه مِن المخلوقاتِ حادِثٌ مُكتسَبٌ يَزِيدُ ويَنقُص، فتبيَّن بذلكَ الوصفَان ولم يَبْقَ بعد ذلك إلا اتّفاق اللَّفظِ فتَأمَّل.

والحاصل أنّ صفات البارئ مُخالِفةٌ لصفاتِ خَلْقِه (**كَمَا**) أنّه عز وجلَّ (**لَا يُشْبِهُ ذَاتَهُ**) أي حقيقتَه (**شَيءٌ**) أي موجودٍ (**مِنَ الذَّوَاتِ**) لأنَّه خالقُها.

فيَتخلَّص مِمّا مضَى أن يقالَ: إنّ الله تعالَى لا يُماثِلُ الجواهِرَ ولا صِفاتُه تُماثِلُ الأعراض، ولا هو جوهَرُ ولا عرَضٌ.

تَنزَّه اللهُ عزّ وجلّ عن أن يكون جسمًا لأنّ حقيقة الجِسم ما له تَركِيبٌ وتأليفٌ وطُولٌ وعَرْضٌ وسَمْكٌ وصُورةٌ، والله خارِجٌ عن ذلك كُلِّه.

ونُنزّهه عن أن يكونَ عرَضا لأنّ حقيقة العرض ما قام بغيره والله قائم بنفسه، على أنّنا قد قدَّمْنا وجوبَ حدوثِ كلٍّ مِن الجِسم والعرَض، وتَنَزُّهَ الله عزّ وجلّ عن أن يكون حادثًا، ونُنزِّهُه عزّ وجل عن التحيُّز في المكان لأنَّ المتحيّز لا يَخلُو مِن أن يكون منتقِلًا عن حيّزه أو ساكنًا فيه، فالأوّل متحرّك والثاني ساكِن، وكلٌّ من الحركة والسكون حادِث، والوصفُ الحادث لا يقوم في الذاتِ القدِيم على ما يأتي بيانُه بإذن الله تعالى.

(وَ)اللهُ تعالَى (**لَا يَحُلُّ**) أي يستحيلُ عليهِ عقلًا وشرعًا أنْ يَحُلَّ (**ذَاتُهُ**) في شيءٍ (وَ)كذلكَ (**لَا**) تَحُلُّ (**صِفَاتُهُ فِي شَيءٍ**) لأنّ ذاتَه ليس جِسمًا وصِفاتُه ليسَتْ أعراضًا، فلا يجوزُ عقلًا أن يحُلَّ ذاتُه ولا صفاتُه في شيءٍ مِن الأشياء وخالَفَنا في ذلك الحلوليّةُ حيث زعموا أنَّ ذاتَ البارئ جلَّ وعلا حلَّ في كل العالم وربما قالوا إنَّ الله حلَّ في العالم كما يحلُّ السُّكَّر في الماء، سبحانه وتعالى عمّا يقولُ الظّالِمُون عُلُوًّا كبِيرًا.

إبطالُ شُبهةِ المجسِّمةِ في مسألةِ الفَوقِيّةِ

وزعمَتْ المشبّهةُ أنّ البارئَ تعالَى بائِنٌ مِن العالَم بالجِهةِ وأنّه لا يُتصوَّر غيرُ ذلكَ، فحكَّموا التصوُّر في قولِهم بذات الله تعالَى عمّا يقولونَ عُلُوًّا كبيرًا، وأثبتُوا في مذهبهم أنّ الإلهَ في جِهةِ فوق، قالوا: "لأنّها أشرفُ الجهاتِ وأَلْيَقُ بكَمالِه، ولهذا تعَلَّقَتِ القُلوبُ بالسَّماءِ ورُفِعَتِ الأَيدِي إلَيها، وإليها كان مِعراجُ سيّد الأنبياءِ ﷺ"، وهذا مِنه تهافُتٌ وضلالٌ مِبينٌ، وجوابُه مِن وجوهٍ:

- الأوّل: إمّا أن يقولوا إنّ الله مُحتاجٌ إلى الجِهةِ أو غيرُ محتاجٍ، فإنْ قالوا: لا، فقَد نقضوا أصلَهُم في إثباتِهم احتياجَه إليها، وإنْ قالوا: نعم، فقد جعلُوه مُفتقِرًا عاجِزًا، والعاجزُ لا يكونُ إلهًا.
- الثّاني: إمّا أن يقولوا الجهةُ مِن خَلْقِ الله أو لا، ولا يجترؤونَ على القول إنّها غيرُ مخلوقةٍ، يقال لهم: إنْ كان على زعمِكُم قبلَ خَلقِ الجِهةِ بلا جِهةٍ ولا مَكانٍ ثُمّ صارَ في جِهةِ فَوقٍ فقد أثبتُم له الاحتِياجَ إلى الجهةِ كما لَزِمَكُم قبلُ وقد نسبتُم إليهِ التّغيُّرَ، والمتغيّرُ لا يكونُ إلّا حادِثًا مُحتاجًا إلى مَن يخصّصُه بالهيئة الحديثةِ

الّتي هو عليها الآنَ بعدَ طُرُوّ التّغيُّرِ عليه، ومَن كان كذلكَ كان مقهورًا ومغلوبًا ومحكومًا عاجِزًا، والعاجزُ لا يكونُ إلهًا.

- الثّالث: لو كانَ على زَعمِهم في جِهةٍ لكانَ مُحاذيًا لجِسم العالَم، وكلُّ مُحاذٍ فإمّا أصغَرُ مِنهُ وإمّا أكبَرُ وإما مُساوٍ في الحجم، وكلُّ ذلك يُوجِبُ التَّقدِيرَ بمِقدارٍ معيَّنٍ، والمِقدارُ يَجُوز عَقلًا أن يُفرَضَ أصغَرَ أو أكبَرَ فيَحتاجُ إلى مُقدِّرٍ ومُخَصِّصٍ، والاحتِياجُ عَجزٌ، والعاجزُ لا يكونُ إلهًا.

تَنزيهُ اللهِ عَن أنْ تَبلُغَه الأوهامُ أو تُدرِكَه الأفهامُ

(**وَكُلُّ صِفَةٍ**) مِن الصِّفاتِ الّتي (**لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُحْدَثَاتِ**) وهي الأعراضُ صِفاتُ الأعيانِ (**فَهِيَ مُحَالٌ**) أي يستحيلُ (**عَلَيْهِ**) أي على الله تبارَك (**تَعَالَى**) أن يكونَ متّصِفًا بها (**وَتَقَدَّسَ**) لأنَّ ما لا يَخْلو مِن الحادِث فهو حادِثٌ، واللهُ تعالَى أزليُّ الصِّفاتِ (**لِوُجُوبِ قِدَمِهِ**) عقلًا وشرعًا، ولا يصحّ أن تكونَ صِفاتُ الأزليّ حادِثةً، فإنّه لَمّا ثبَتَتِ الأزليّة لذاتِ الله عزَّ وجلَّ وجَبَ أن تَكُونَ صِفاتُه أزليّة.

ويجبُ الإيمانُ بأنّ الله عزَّ وجلَّ (**مُتَقدِّسٌ**) أي متنزّه في ذاتِه وصِفاتِه (**عَنْ**) أن تُدرِكه وصِفاتِه (**تَخَيُّلَاتِ**) أي صُوَرِ (**الأَوْهَامِ**) جمعُ وَهْمٍ بسكونِ الهاء وهو سَبْقُ القلب إلى الشيء وتُسمَّى الخطَراتِ أيضًا، فإنّ أوهامَ الخَلقِ لا تَصِل إلّا إلى ما أَلِفَتْه وهو ما فيه صِفةٌ مِن صِفاتِ الحادِثات. قال العلّامة ابن كمال باشا: "﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي تعاظَم وتعالَى عن أنْ يُحِيطَ بِه الأفهامُ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي المُوجِد للكُلِّ المُتصرِّف فيهِ بالرُّبوبيّة، فإنّ الآيةَ سِيقَت مَساقَ الاعتِراضِ لبَيانِ تَعظِيمِه تَعالَى بالوَحْدانيّة في الأُلُوهيّة والرُّبوبيّة للكُلّ".

وهو عزَّ وجلَّ (**مُتَعَالٍ**) أي المُستعلِي على كُلِّ شيءٍ بقُدرَتِه وعالِي القَدرِ المنزَّه (**عَنْ إِحَاطَةِ**) أي إدراكِ (**الأَفْهَامِ**) أي أفهامِ الخلائقِ بحقيقةِ ذاتِه وصفاتِه جلَّ جلالُه، وعلُوُّه عزَّ وجلَّ علُوّ قَدرٍ لا عُلُوّ مَكانٍ وجِهةٍ كما بَيَّنّا.

فيجِبُ اعتِقاد أنّه لا أحَدَ مِن الخَلقِ يَبلُغُ إدراكَ حقيقةِ ذاتِ اللهِ تعالَى ولا حقيقةِ صِفةٍ مِن صِفاتِه الواجبةِ له إجماعًا، بل يَعجِز عن إدراكِ ذلكَ الواصِفون لَهُ مِن خَلقِه

العارِفونَ باللهِ الموحِّدون المؤمِنونَ بِه بأنّه ذاتٌ لا يُشبِهُ الذّواتِ في شيءٍ وأنّه متّصِفٌ بصفاتٍ لا كصفاتِ غَيرِه، ويؤيّد ذلك قولُه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ أي "إليه انتهى فِكرُ مَن تفكّر" كما قاله أُبَيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه أي لا تَصِل إليه الأفكارُ ولا تُدرِكُه الأوهامُ.

وقال سيّدنا ومولانا سيّد الطّائفة الصّوفيّة ببغدادَ بلا مُنازعٍ أبو القاسِم الجُنيدُ قدَّسَ اللهُ سِرَّه الشّريفَ وأمَدَّنا بِمَددِه: "لا يَعرِفُ اللهَ علَى الحَقِيقَةِ إلّا اللهُ" أي لا تُدرِكُ عقولُ العُقلاءِ حقيقةَ ذاتِ اللهِ وصفاتِه، إنّما نعلَمُ أنّه موجودٌ متّصِفٌ بصِفاتٍ لا يُشبِهُ شيئًا من الموجوداتِ ونؤمِن بذلكَ، فمَعرِفَتُنا له تعالى تكون باعتقادِ أنّه الموجودُ الّذي لا يُشبِهُ شيئًا مِن خَلقِه بوجهٍ مِن الوجوه وأنّه موجودٌ بلا مكانٍ ولا جهةٍ، وليس هو شيئًا يُتصَوّر في البالِ أو يُتمثَّل في القَلب.

فإذا عَرَف الإنسانُ وءامَن وأقَرَّ أنّ اللهَ تعالى موجودٌ لا كالموجوداتِ مُتّصِفٌ بما يَجِبُ له مِن الصِّفاتِ الثلاثَ عشرةَ الّتي لا تُشبِهُ صِفاتِ المخلوقينَ واقتَصَر على هذا ولم يَبْحَثْ في ذاتِ اللهِ تعالى للوُصولِ إلى حقيقةِ اللهِ فهذا إيمانٌ، وهذا يقال عنه: "عرَف اللهَ"، أمّا الّذي لا يكتَفِي بذلك ويريدُ بزَعمِه أن يعرِفَ حَقِيقةَ اللهِ فيتَصوَّرُه كالإنسانِ أو ككُتلةٍ نورانيّةٍ أو غيرِ ذلك مِن الصُّوَرِ فهذا كُفرٌ باللهِ تعالى ليسَ إيمانًا، فكلّ ما يُتَصَوّر في الوَهمِ مِن ذِي طولٍ وعرضٍ وعمقٍ وألوانٍ وهيئاتٍ مختلفةٍ يجبُ اعتقادُ أنّ صانِعَ العالَم لا يُشبِهُه ألبتّةَ، وإلى هذا المعنى أشار أبو بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه:

العَجزُ عَن دَرَكِ الإدرَاكِ إدرَاكُ وَالبَحثُ عَن ذَاتِهِ كُفرٌ وَإشرَاكُ

وقال الإمامُ الشّافعِيُّ رضي الله عنه: "مَن انتَهَض لطَلبِ مُدَبِّرِه فانتَهَى إلى مَوجودٍ يَنتَهِي إليه فِكرُه فهو مُشَبِّهٌ، وإنِ اطمَأنَّ إلى العَدَم الصِّرْف فهو مُعطِّل، وإنِ اطمَأنَّ إلى مَوجودٍ واعتَرَف بالعَجْز عن إدراكِه فهو مُوحِّدٌ".

ويجبُ الإيمانُ بأنّ الله عزَّ وجلَّ **(مُتَكَبِّرٌ)** أي مُتعالٍ عُلُوَّ قَدْرٍ ومُنزَّهٌ **(عَنْ)** لُحُوقِ **(نَقْصِ الأَجْسَامِ)** بهِ، بل وإنّ مِمّا هو معدودٌ كمالًا في حَقِّ الخَلقِ غيرُ جائزٍ في حَقِّه سُبحَانه كإطلاقِ "الطّبيب و"المُهندِس" و"الفَطِن" ونحو ذلكَ مِمّا يُطلَق على أفرادٍ مِن العُقلاءِ مَدحًا لَهُم، فإطلاقُ ذلكَ على اللهِ مِن الإلحادِ في أسمائِه عزَّ وجلَّ، قال الله تعالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فاللهُ عزَّ وجلَّ **(مُتَّصِفٌ)** أزلًا وأبدًا **(بِكُلِّ)** وَصفِ **(كَمَالٍ)** يليقُ به **(مُبَرَّأٌ مِنْ)** أي مُنزَّهٌ عَن **(كُلِّ نَقْصٍ)** في حَقِّه.

ونُؤمِنُ بأنّ **(مُنْتَهَى الحَاجَاتِ)** أي غايةُ السُّؤالِات يَرجُع مِن السّائِلين المُفتقِرينَ **(إِلَيْهِ)** فيُرغَب إليه ولا يُرغَب عن سؤالِه، ويُستغنَى بفَضلِه ولا يُستغنَى عن إمدادِه، ويُتوجَّه بالدُّعاءِ إليه ولا يُعرَض عن ذلكَ، ويُفزَع إليه في الشّدائِد والمُهِمّات، قال عزَّ وجلَّ في التّنزيل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، و**(إِلَيْهِ)** أي إلى اللهِ **(يَرْجِعُ الأَمْرُ)** أي يعودُ الخَلقُ **(كُلُّهُ)** في أمرِهم وتدبيرِهم، فهو تعالَى مالِكُ المُلكِ، وما مِن حرَكةٍ ولا سُكونٍ إلا بمشيئةِ الله عزّ وجلَّ وعِلمِه تَكونُ.

تَقريرُ بُرهانِ التَّمانُعِ

ويجِبُ الإيمانُ بأنّه عزَّ وجلَّ **(مُنْفَرِدٌ بِالإِلَهِيَّةِ)** أي لا أحَدَ غيرُه متّصِفٌ بالقُدرةِ على الاختراعِ وإبرازِ المعدوم إلى الوجودِ **(فَـ)**ـهو سُبحانَه وتعالَى **(لَا شَرِيكَ)** أي لا مُشارِكَ **(لَهُ)** في ذاتِه أو صِفاتِه أو أفعالِه، قال الله تعالى: ﴿لَوۡكَانَفِيهِمَآ﴾ أي لَهُما ﴿ءَالِهَةٌإِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

فأهلُ الحقّ قاطِبةً يَعتقِدُونَ أنّ مُحْدِث العالَم واحِدٌ لا شريكَ له وهو اللهُ عزَّ وجَلّ، والدّليلُ على ذلك هو ما وُسِم عند عُلماءِ الكلام ببُرهانِ أو دِلالةِ التَّمانُع، وقد اعتَمَد على هذا الدَّلِيل الإمامُ الأشعَرِيُّ والباقلّانِيُّ وأبو مَنصورٍ البغدادِيُّ وإمام الحرمَينِ الجُوَينِيُّ والفخرُ الرازيُّ وغيرُهم، وهو برهانٌ يُفهَم مِن تفسيرِ ما جاءَ في الآيةِ السّابقةِ، ومختصَر هذا البُرهانِ أن يقال: لا يَصِحُّ عقلًا ولا شرعًا وجودُ إلهينِ للعالَم معَ جريانِ أمرِ الاثنَينِ على نظامٍ واحدٍ لأنّه:

- لو قُدِّر أنّهما أرادا شيئًا معًا لم يَخْلُ ذلكَ إمّا:
  - أنْ يَتِمّ مُرادُهما جميعًا، وذلك مُحالٌ مِن وَجهَين:
    - اختلافُ مُرادِ كُلٍّ مِنهُما عَن الآخَر: كأَنْ يُرِيدَ أحدُهما إحياءَ إنسانٍ والآخَرُ إماتَتَه، ويمتَنِعُ أنْ يَكونَ الإنسانُ حَيًّا ومَيّتًا في ءانٍ واحِدٍ، فاستَحالَ ذلك الفَرْضُ.
    - أو تَوافُق مُرادَيهما: لكنَّ تَواطُؤَهُما لا يكونُ إلا عَن عَجْزٍ، والعاجِزُ لا يكونُ إلهًا.

- أو لا يَتِمّ مُرادُهما جميعًا: وذلكَ يَدُلّ على عَجْزِهما، وبِه يَبطُل القَولُ بوُجودِ إلهَينِ.
- أو أنْ يَتِمّ مُرادُ أحَدِهما ولا يَتِمّ مُرادُ الآخَر: فالّذِي تخَلَّف مُرادُه لا يكونُ إلهًا، لأنّ الإلهَ لا يَكونُ إلّا مُرِيدًا قادِرًا.

فدَلَّ ذلكَ على أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحِدٌ أحَدٌ لا شَرِيكَ له في الذّاتِ والصِّفاتِ والأفعالِ.

وقرَّرَ غيرُهم مِن المتكلّمين دِلالةَ التّمانُع بشَكلٍ ءاخَرَ فقالوا:

الأوّل: أنّ الإلهَ لو تَعدَّد فإمّا أن يُقالَ إنّ قُدرةَ كُلٍّ مِنهُما وإرادَتَه كافِيةٌ في الحُدوثِ والتّغيُّرِ أو لا:

- و على الأوَّل يَلزم اجتِماعُ تأثِيرَين تامَّينِ على مخصوصٍ واحِدٍ.
- وعلى الثّاني يَلزم العَجزُ المُنافِي للأُلوهِيّة.

الثّاني: أنّ الإلهَ لو تَعدَّد لكان العالَم مُحتاجًا إلى كُلٍّ مُنهمُا ومُستَغنِيًا عَنهُما لِكَونِهما، واللّازِمُ باطِلٌ ضَرورةً فكذا الملزومُ.

الثّالث: أنّ الإلهَ لو تَعدَّد لجازَ أن يُرِيدَ أحدُهما شيئًا والآخَرُ ضِدَّه، كحرَكةِ زَيدٍ وسُكونِه، فيَمتنِعُ وقوعُ المُرادَين وعدَمُ وقُوعِهما لامتِناعِ ارتِفاعِ الضِّدَّين المذكورَين واجتِماعهما، فتَعيَّن وقوعُ أحدِهما فيكون مُرِيدُه هو الإلهُ دُونَ الآخَر المزعومِ وذلكَ لِعَجزِ هذا الثّاني.

فلا يكونُ الإلهُ إلّا واحدًا متفرِّدًا بالإلهيّةِ ويستحيلُ عقلًا وجودُ شريكٍ للهِ.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ وقد بَيَّنّا إبطالَ جوازِ وجودِ إلهَين بمِثالِ الحرِكة والسُّكونِ في الكلامِ السّابق، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي لانفَرَد على ذلِكَ كُلُّ واحِدٍ مِن الاثنَين المزُعومَين بخَلْقِه الّذي خَلَقَه واستَبَدَّ بِه، ولرُئِيَ مُلكَ كُلِّ واحِدٍ مِنهُم مُتميّزًا عن مُلكِ الآخَر، ولغَلَب بَعضُهم على بَعضٍ كما تَرَونَ حالَ مُلوكِ الدُّنيا مَمالِكهم مُتميّزةٌ وهم مُتغالِبُون.

قال الفخرُ الرّازيّ: "فإنْ قِيلَ: "إذًا" لا يَدُخل إلّا على كلامٍ هو جزاءٌ وجوابٌ، فكيف وقَعَ قولُه "لَذَهَبَ" جَزاءً وجَوابًا ولم يَتقَدَّمْه شَرطٌ ولا سُؤالُ سائِلٍ؟ قُلنا: الشَّرطُ محذوفٌ وتقدِيرُه "ولَو كانَ معَهُ ءالهةٌ" وإنَّما حُذِف لدلالةِ قولِه: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ علَيهِ، ثمّ إنّه سُبحانَه نَزَّه نفسَه عن قولِهم بقَولِه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن إثباتِ الولَد والشَّرِيك".

تنزُّهُ اللهِ عَن الشَّريكِ والوالِدِ والولَدِ

(وَ)هو تعالَى الغالِب على أمرِه فلا مُغالِب له و(**لَا ضِدَّ**) ولا مُكرَه (**وَلَا نِدَّ**) أي لا مثِيلَ ولا شَبِيهَ عَدِيلَ ولا نَظِيرَ ولا مُساوِيَ ولا مُشارِكَ، وهو مُنزَّهٌ عزَّ وجلَّ عن أن يكونَ أصلًا لفَرعٍ أو أن يكونَ فرعًا لأصلٍ، فلا والِدَ له (**وَلَا وَلَدَ**) لأنّ الوالِدَ سبَبٌ لحُدوثِ الولَدِ، واللهُ جلّ جلالُه قدِيمٌ لا أوّل لهُ فلا يَحدُث وجودُه، والولَدُ جُزءٌ من الوالِدِ، وأمّا الله تعالَى فذاتُهُ واحِدٌ وصِفاتُه لا تجزُّؤَ فيها ولا تركُّبَ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي لا يجوزُ عقلًا ولا شرعًا بل يستحيلُ أن يكونَ للهِ ولَدٌ أي ووالِدٌ، وقال ﷺ في الحديثِ القُدسيّ يَروِي عن الله عزَّ

وجلَّ: «**شَتَمَنِي ابنُ ءادمَ وَلَم يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَم أَلِد وَلَم أُولَد، وَلَم يَكُن لِي كُفُؤًا أَحَدٌ**» رواه البُخاريُّ وغيرُه.

وقد خالَف في هذه المسألة ابنُ حَزمٍ الأندَلُسِيُّ فزعَمَ أنّ الله تعالى قادِرٌ على أنْ يَتّخِذَ ولدًا لأنّه لو لم يَقْدِر على ذلك لكان عاجزًا، نعوذُ باللهِ مِن سُوءِ المُعتقدِ، فهذا الكلامُ ضلالٌ مُبِينٌ وكُفرٌ شنيعٌ، ويُرَدُّ على ذلك بأنْ يقال: إنّ اتّخاذَ الولَد على اللهِ مُحالٌ، والمحالُ ليسَ مِن مُتعلَّقاتِ القُدرةِ الأزليّة، فهذا الّذي قاله ابنُ حَزْمٍ غيرُ لازِمٍ بل أدَّتْ به مَقالَتُه إلى الضّلال.

قد ضَلَّ بعضُ النّاسِ في تَفسِيرِهم للحديثِ السّاقِط الضَّعيفِ: «الخَلْقُ كُلُّهُم عِيالُ اللهِ» ففسَّره أولئك الجُهّالُ بأنَّ البشَر "أبناءُ الله" مَجازًا، وهذا ضلالٌ وكُفرٌ، فالعِيالُ في اللُّغةِ هُم مَن يَكونونَ تَحتَ رعايةِ غيرِهم كرَجُلٍ له أبٌ وأُمٌّ فقِيرانِ يُنفِقُ علَيهما، يقال: هذان مِن عيالِ فُلانٍ معناهُ يَعولُهما ويَصرِفُ علَيهِما، وليس في لُغةِ العرَبِ الأصلِيّة عِيالٌ بمعنَى الأولادِ، أمّا الحديث الضّعيف المذكورُ ءانِفًا فمعناه: "الخلقُ كُلُّهم فُقراءُ إلى الله يَحتاجُونَ إليه"، فالخَلقُ كُلُّهم يأكلُون مِن رِزقِ الله، وقد قال القاضي المفسّر أبو محمَّدٍ عبدُ الحَقّ ابنُ عَطِيّة الأندَلسيُّ في تفسيرِ سُورةِ التَّوبةِ: "ويُقالُ: إنَّ بعضَهُم يَعتقِدُها بنُوّة حُنُوّ ورَحمةٍ، وهذا المعنى أيضًا لا يَحِلُّ أنْ تُطلَق البُنُوّةُ علَيه - في حقِّ اللهِ - وهو كُفرٌ".

كذلكَ يجِبُ التّحذِيرُ مِن كلامٍ كُفريٍّ جرَى على لسانِ بعضِ مُدَّعِي العِلم وهو قولُهم عن الملائكة "أعوَان اللهِ" وهذا كُفرٌ، فاللهُ تعالى لا يحتاجُ إلى أحدٍ ويَحتاجُ إليه كلُّ أحدٍ.

وُجوبُ الإيمانِ بالقَدَرِ

(**وَنُؤْمِنُ بِالقَدَرِ كُلِّهِ**) وهو إيجادُ اللهِ الأشياءَ على عِلمِه الأزليّ ومَشِيئَتِه الأزليّة، فكُلُّ ما يَدخُل في الوُجودِ إنما هو بتَدبيرِ اللهِ الأزليّ، وتدبيرُ اللهِ هو صِفَتُه الأزليّة الأبديّة، فيَدخلُ في ذلكَ الأعيانُ والأعمالُ خَيرُها وشَرُّها، وأمّا تقديرُ اللهِ الّذي هو صِفتُه فَلا يُوصَفُ بالشَّرِّ، وتقدِيرُه للشَّرِّ ليسَ نقصًا على اللهِ سبحانَه.

فِمن هُنا يُعلَم أنّ ما جاء في حديثِ جِبريلَ عليهِ السّلام: «**بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**» أي المقدُورِ يعني المخلوقَ فإنّ مِنهُ خيرًا ومنه شَرًّا، وهذا المقدورُ قد دخل في الوجود بتدبيرِ اللهِ الأزليّ وقدرته وإرادتِه وعِلمِه.

وأدِلّة ذلكَ في النّصوص الشّرعيّة كثيرةٌ جِدًّا، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، ورَوَى مُسلِمٌ عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ ﷺ قال: «**كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**» أي حتّى البلادةُ والفَطانةُ بِخَلْقِ اللهِ وتقديرِه، فلا يجوز أن يقال: "إنّ الله قدّر الخيرَ ولم يُقدِّر الشَّر"، بل هذا كُفرٌ وضلالٌ مُبِينٌ مُصادِمٌ للنُّصوصِ القُرءانِيّة والحدِيثيّة والإجماعِ والبراهين العقليّة.

قال الحافظ ابنُ حجَرٍ في «الفَتح»: "كُلُّ شيءٍ لا يقَعُ في الوجودِ إلّا وقد سبَقَ به عِلمُ اللهِ ومشِيئَتُه، وإنّما جعَلَهُما في الحديثِ غايةً لذلكَ للإشارةِ إلى أنّ أفعالَنا وإنْ كانَتْ معلومةً لنا ومُرادةً مِنّا فلا تَقَع معَ ذلك مِنّا إلا بمَشِيئةِ اللهِ، وهذا الّذي ذكَرَه طاووسٌ مرفوعًا وموقوفًا مُطابِقٌ لقَولِه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القَمَر: ٤٩] فإنّ هذه الآيةَ نَصٌّ في أنّ الله خالِقُ كلِّ شيء ومُقدِّرُه، وهو أنَصُّ مِن قوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ

شَيۡءٍ﴾ وقولِه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، واشتَهَر على ألْسِنة السَّلَف والخَلَف أنّ هذه الآية نزَلَتْ في القدَرِيّة، وأخرَجَ مُسلِمٌ مِن حديثِ أبي هريرةَ: جاءَ مُشرِكُو قُرَيشٍ يُخاصِمونَ النَّبِيَّ ﷺ في القَدَرِ فنَزَلَتْ".

ثُمّ الإيمانُ بالقدَر مِن أهَمِّ مَسائل الدِّين، وإنّ مُخالَفة الصّوابِ في هذه المسألةِ مُوقِع في الكُفر الذي هو سبَبُ الخلود الأبدِيّ في النّار. فيجِبُ اعتقاد أنّ الخيرَ والشَّرَّ والحُلوَ والمُرَّ، والأعيانَ والأعراضَ، كُلٌّ قدَّرَه الله تعالى أي أوجَدَه كما شاءَ واختارَ، قال الله تعالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصَص: ٦٨]، فلا مُوجِد ولا مُعدِم لشيءٍ مِن الكائناتِ إلّا اللهُ سبحانه وتعالى.

وقد خالَفَ في هذه المسألة المُعتزلةُ وغُلاةُ الرّافضةِ فقالوا: إنَّ العَبدَ هو خالِقٌ لأفعالِ نَفسِه، بعضُهم قَيَّد ذلكَ بالشَّرِّ وبعضُهم أوسَعَه ليشملَ الخيرَ، وهذا كُلُّه كُفرٌ وضلالٌ مُبِينٌ، سواءٌ قالوا: "العبدُ خلَقَ بعدما أعطاهُ اللهُ القُدرةَ على الخَلْقِ" أو قالوا: "إنّ العَبدَ يخلُقُ بدونِ واسطةٍ مِن اللهِ"، وكُلٌّ كُفرٌ وضلالٌ وإشراكٌ، قال الله تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصّافّات: ٩٦]، وقد روى أبو داود في سُنَنه أنَّ رسول الله ﷺ عَلَّم بعضَ بناتِه أن تقولَ: «**مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَم يَشَأ لَم يَكُنْ**».

فقَد جَعَلتِ المعتزِلةُ والقدَرِيّةُ ومَن وافقهُم مِن أصنافِ الكافرينَ العِبادَ مُشارِكِينَ للهِ عزَّ وجلَّ في الخالقيّة، حاشا لله، بل وجعلُوا العبادَ خالِقِي الأعمالِ الّتي هي أكثرُ مِن الأعيانِ فلَزِم من ذلك قولهم بأنّ مخلوقاتِ العَبدِ - على زَعمِهم - أكثرُ مِن مخلوقاتِ اللهِ، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

ثُمّ مِن وجوهِ الرَّدِّ على القَدَرِيّة أن يقالَ، لو كان اللهُ تعالى خالِقَ الأعيانِ فقط والعِبادُ خالقِي الأفعالَ كما زعَمتِ القدَرِيّةُ لكانَ العِبادُ أولَى بصِفةِ المَدحِ مِن اللهِ تعالَى فيما خلَقوا، لأنّه على مقتضَى هذهِ المقالةِ الفاسِدةِ للمعتزلةِ يكون خَلقُهم أكثَرَ مِن خَلْقِه، ولو كانوا العِبادُ كذلكَ - على زعمِ القائِل به - لكانوا شُركاءَ للهِ في الخالقِيّة والقادرِيّة، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ فنَفَى اللهُ تعالَى أن يكونَ غيرُه خالِقًا، وقال الله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ فأخبر أنه قدَّرَ سَيرَ العِباد، وقال أيضًا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، فدَلَّ ذلك على أنَّ الشَّرَّ مِن جُملةِ خَلْق الله. وقال عَزَّ شأنُه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ أي خَلَقْنا الغَفْلةَ فيه، وقال أيضًا: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فأخبَر عَزَّ وجَلَّ أنَّ قولَهم وسِرَّهم وجَهْرَهم خَلْقٌ له سُبحانَه.

فثبتَ مِن تفصيلِ كُلِّ ما ذكَرنا أنّ الله تعالَى خالقُ كُلِّ شيءٍ عَينًا وعمَلًا، (**خَيْرِه**) أي المقدورِ (**وَشَرِّه**) أي المقدورِ (**فَكُلٌّ**) مخلوقٍ (**مُتَحَرِّكٍ**) أو ساكِنٍ (**مِنْ ذَاتٍ**) أي عَينٍ (**وَصِفَةٍ**) أي صِفةِ جِرمٍ وفيها يدخُلُ عمَلُ العامِلِينَ مِن خيرٍ وشَرٍّ (**وَ**)مِن (**حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ**) واتّصالٍ وانفصالٍ (**فَـ**)ـكُلُّ ذلكَ (**مُسْتَنِدٌ**) أي راجِعٌ في حُدوثِه (**إِلَى قُدْرَتِهِ**) عزَّ وجلَّ أي لم يُوجَد هذا مُحدَث إلّا بقدُرَتِه تعالَى (**وَإِرَادَتِهِ**) لأنّه لو كان يقَعُ في مِلك الله ما لا يشاءُ لكان الله مغلوبًا، وذلكَ مُحالٌ ومُنافٍ للألوهيّة، وهذا لا يُنافِي أنَّ العبدَ له مشيئةٌ وكَسبٌ ولكِنَّهما تحتَ مشيئةِ اللهِ وقُدرَتِه، قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فهذا هو مذهبُنا معاشِرَ أهل السُّنّة وهو مذهَبٌ وسَطٌ بينَ الجَبْر ونَفْي القَدَر.

نُفوذُ مشيئةِ اللهِ

فـ(ـقُدْرَتُهُ) عزَّ وجلَّ (**العُظْمَى**) أي التّامّةُ الّتي لا تُماثِلُها قُدرةُ قادِرٍ مِن الحادِثاتِ (**حَاكِمَةٌ عَلَى جَمِيعِ القُدَرِ**) أي مؤثِّرةٌ في جميعِ المقدوراتِ، فهو عزّ وجلّ قادِرٌ على تكوينِ ما أرادَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠]، لا يُعجِزُه عن ذلك شيءٌ ولا يُمانِعُه أحَدٌ ولا يُغالِبُه.

(وَ)كذلكَ (**مَشِيئَتُهُ**) أي إرادَتُه عزَّ وجلَّ (**العَالِيَةُ**) أي الغالِبةُ للمشيئاتِ كُلِّها أي مشيئتَهُ (**قَاهِرَةٌ لِجَمِيعِ المَشِيئَاتِ**) وغلَبَ قضاؤُه الحِيَل كُلَّها، فلو اجتَمَع جميعُ الخَلقِ على إيجادِ شيءٍ لم يَشإِ اللهُ وُجودَه لم يَقدِرُوا على إيجادِه حتّى وإنْ بَذَلُوا الحِيَل كُلَّها لَم يقدِروا على شيءٍ قَضاهُ اللهُ وقَدَّرَ وجودَه لأنّه تعالَى يَفعَل ما يشاءُ وُوجِدُ ما يُريدُ، فالكَونُ كُلُّه في ملكه يَتصرَّف فيهِ كما يَشاءُ، وهو عزَّ وجلَّ غيرُ ظالِمٍ في أفعالِه وقضائِه حاشاهُ، لأنّ الظُّلمَ هو التَّصرُّف في مِلكِ الغَيرِ كُرهًا وهذا مُحالٌ على الله تعالَى عقلًا وشرعًا كما بيّنّا في قولِ الزّركشيّ سابِقًا، فهو عزَّ وجلَّ المتصرِّفُ في ملكه كيفَ يَشاء، ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أثبَتَ الله عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ أنّه يُوجِدُ ما يُريدُ وهو قادِرٌ على كُلِّ مُمكِنٍ.

فالله عزَّ وجلَّ (**يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ**) أي يُلقِي اللهُ في قَلبِ العبدِ ما يَصرِفُه عن مُرادِه لحِكمةٍ تَقتضِي ذلك، وقيل في معناه: يَجعلُ مانِعًا بين قَلبِ المُؤمِن وبينَ الكفر، وبينَ الكافِرِ والإيمانِ، وليسَ معناهُ أنّ الله حالٌّ في الأبدانَ، حاشا.

(**وَ**)هو تعالَى (**يَمْنَعُ إِرَادَاتِ**) المُريدِين مِن (**المَخْلُوقَاتِ أَنْ تَقَعَ**) أي تَنفُذَ (**إِذَا شَاءَ**) مَنعَها (**وَيُوْقِعُهَا**) أي يُمضِيها (**فِي نَفْسِ مَنْ شَاءَ**) مِن المُرِيدِين (**مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ إِذَا أَرَادَ**) قال تعالَى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال الإمام عليٌّ كرَّم اللهُ وَجهَه: "عَرفتُ اللهَ بنَقْض العَزائِم" وهو مرويّ عن جعفرٍ الصّادق رضي الله عنه أيضًا، وقال بعض العارفين: "عَرفتُ الله بوَارِداتٍ عجزَتِ النَّفسُ عن عدَمِ قَبولِها".

(**وَ**)إذا شاء الله فإنّه (**يَمْنَعُ**) دُخولَ (**الأَسْبَابَ**) في الوُجودِ فلا تَنتُج مُسبَّباتُها، وإنْ شاء أوجَدَ المُسبَّبات ومنَعَها (**عَنْ مُسَبَّبَاتِهَا**) أي ما يَنتُجُ عنها عادةً (**وَيَقْتَطِعُ المُسَبَّبَاتِ عَنْ أَسْبَابِهَا**) فتُوجَد بِدُونها، يُفهَم مِن ذلكَ أنّ الله تعالى يَخرِقُ العَوائِد إذا شاءَ فلا يَأتِي بالمُسَبَّبات عَقِب تلك الأسبابِ، كتخَلُّف الإحراقِ عن النّار كما حصل ذلكَ مع رسولِ الله إبراهيمَ ﷺ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠]، أو يأتي بالمُسبَّبات بدونِ الأسبابِ المعتادةِ، كما خلَق عِيسَى مِن مَريمَ مِن غيرِ أنْ يَمَسَّها بَشَرٌ، فإنّ الله عزَّ وجلَّ الفعّالُ لِمَا يُرِيدُ، يَخلُق ما يَشاءُ سُبحانَه، ولهذا قال مُحقِّقُو الصوفيّة: "الأخذُ بالأسبابِ لا يُنافِي التّوكُّلَ على الله"، ومنهُ ما رُوي أنّ رجُلًا قال للنّبيّ ﷺ: أُرسِلُ ناقَتِي وأتوَكَّلُ؟ فقال له ﷺ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**» أي اربُطِ النّاقةَ وتوكَّل، فهو عَمَلٌ بالإسبابِ مع الأمرِ بالتوكُّلِ.

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بـ(ـأَنَّهُ) سُبحانَه و(تَعَالَى تَجُوزُ رُؤْيَتُهُ) عَقلًا، ومِن أدِلّة ذلكَ أنّ سيّدنا موسَى ﷺ قد سألَ ربَّه أن يراهُ وموسَى في الدُّنيا بقَولِه: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلو لم تَكُن الرُّؤيةُ مُمكِنةً لكان طَلَبُها جهلًا مِن موسَى بما يجوزُ على اللهِ وما لا يَجوزُ أو سفهًا وعَبَثًا وطَلَبًا للمُحال، والأنبياءُ عليهِمُ السَّلامُ مُنزَّهُون عن ذَلِكَ، ثمّ إنّ الله تعالَى أوحَى لموسَى حينَ موسَى ذلكَ: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾، فعَلَّق الرُّؤيةَ على استِقرارِ الجبَلِ مَكانَه وعدمِ زَوالِه وهو أمرٌ ممكِنٌ في نَفْسِه، والمعلَّقُ بالمُمكِن مُمكِنٌ لأنّ معناه الإخبارُ بثُبوتِ المعلَّق عِندَ ثبُوتِ المُعلَّق به، والمحالُ لا يَثبُت على شيءٍ من المُمكِناتِ. وقد زعَمَتِ المُعتزِلةُ والنَّجّاريةُ والخَوارِجُ أنَّ في العَقلِ دِلالةً على كَونِ رُؤيةِ اللهِ تعالَى مُستحيلةً لأنّ الرُّؤيةَ لا تَتعلَّق على أُصولِهم إلا بالجِسم ولا بُدَّ لَها مِن مُقابَلةٍ بَينَ الرَّائِي والمَرئِيّ وثُبوتِ مَسافةٍ بينَهُما واتِّصالِ شُعاعِ عَينِ الرَّائِيّ بالمَرئِيّ، وكل ذلك يَستحِيلُ على اللهِ تعالى، والجوابُ عليهِم هو الّذي سبَقَ.

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بأنّ رؤيةَ المؤمنِينَ ربَّهُم (تَقَعُ) أي تحصُل لَهُم وهُم (فِي الآخِرَةِ) وهو تعالَى بلا كَيفٍ ولا جِهةٍ ولا مَكانٍ ولا مسافةٍ بينَه وبينَ خَلقِهِ ولا مُقابلة (كَمَا) ثبَتَ ذلكَ في كتابِ الله عزَّ وجلَّ بقولِه تعالَى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقد (أَخْبَرَ عَنْهُ) أي عن ذلك رسولُ الله (ﷺ) حيث قال فيما رواهُ الشَّيخانِ وغَيرُهما «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**» وهي رؤيةٌ تكونُ للمؤمنِين (بِـ) أي على (**المَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ**) اللهُ عزَّ وجلَّ (**وَالوَجْهِ الَّذِي قَصَدَهُ**) النَّبِيُّ ﷺ (**مَعَ**) الجَزمِ بكَونِ مَعنَى على ما يُوافِقُ (**التَّنْزِيهَ**) للهِ (**عَمَّا لَا يَجُوزُ عَلَى اللهِ تَعَالَى**) فيرَى المؤمنونَ وهُم في الجنّة ربَّهُم لا في

مكانٍ ولا على جهةٍ مِن مُقابلةٍ أو اتِّصالِ شُعاعٍ أو ثُبوتِ مَسافةٍ بين المؤمِنين وبينَه تعالَى، وغيرِ ذلك مِن المعاني الّتي هي مِن أماراتِ الحُدُوث الّتي لا تجوزُ على الله عزَّ وجلَّ.

تأويلُ النُّصوصِ المُتشابِهة

(**وَكَذَلِكَ نَقُولُ فِي**) المتشابهاتِ وهي (**الأَلْفَاظِ المُشْكِلَةِ**) الّتي يُوهِم ظاهرُها ما لا يَلِيقُ بالبارئ عزّ وجلّ ، وهي (**الوَارِدَةِ فِي الكِتَابِ**) وتُسمَّى الآياتِ المُتشابِهاتِ (**وَ**)الواردةِ في (**السُّنَّةِ**) الثّابتةِ، سواءٌ كان:

- **ظاهِرُ النَّصِّ يوهِمُ الجِهة**: كقَولِه تَعالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[١]، وَقَولِهِ ﷺ: «**يَنزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَى**[٢] **كُلَّ لَيلة إلَى السَّماءِ الدُّنيا**» الحَديثَ.
- **أو يوهِمُ الجِسمية**: كقَولِه تَعالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ[٣] فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾، وَقَولِه ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأرْضَ يَومَ القِيامَةِ**[٤] **وَيَطْوِي السَّماءَ بِيَمِينِهِ**[٥]» الحَديثَ.

---

(١) أي يخافُونَ عذابَ اللهِ أن يأتِيَهُم كما أتَى الأُمَم السّابقةِ مِن الكافِرينَ مِن جِهةِ فوقٍ.

(٢) أي يَنزِلُ ملَكٌ بأمرِ رَبّنا.

(٣) أي أمرُ اللهِ وبأسُه.

(٤) أي يُفنِيها بقُدرَتِه بلا مُماسّةٍ ولا اتّصالٍ ولا انفصالٍ عنها، فهو تعالَى غيرُ متّصِفٍ بصفاتِ الحاداثاتِ، تنزَّه اللهُ عن مُشابهةِ المخلوقاتِ ذاتًا وصِفةً وفِعلًا.

(٥) أي بقُدرَتِه، انظُرِ التّعليقَ السّابِقَ.

- **أو يوهِمُ الحَرَكةَ والسُّكونَ**: كقَولِه تَعالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[١]، وَحَديثِ النُّزولِ السّابِقِ.
- **أو يوهِمُ الصّورةَ والجَوارِحَ**: كقَولِه تَعالَى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾[٢]، وَقَولِهِ ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ ءادَمَ علَى صُورَتِهِ**[٣]، **طُولُهُ سِتّونَ ذِراعًا**» الحَديثَ.
- **أو يوهِمُ الانفِعالَ**: كقَولِه تَعالَى: ﴿لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[٤]، وَقَولِهِ ﷺ: «**لا أحَدَ أغيَرُ مِن اللهِ**»[٥]
- **أو يوهِمُ الاتِّصالَ وَضِدَّهُ**: كقَولِه تَعالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٦].

---

(١) أي ظَهَرَتْ بعضُ ءاثارِ قُدرةِ اللهِ العظيمةِ.

(٢) أي ذاتُه الّذي لا يُشبُه ذواتِ المخلوقاتِ، وليس معناهُ أنّ اللهَ تعالَى له وَجهٌ بالمعنَى المعهودِ مِن بَدَنِ الآدميّ، حاشا للهِ.

(٣) أي على صُورةِ ءادمَ الّتي عاشَ علَيها، فلَم يَجعَلِ اللهُ ءادمَ ﷺ صغيرَ الحَجمِ طِفلًا ثُمّ كَبرَ ءادمُ بعدَ ذلكَ، لا، بل جعَلَهُ اللهُ موجودًا منذُ بَدءِ حياةِ ءادمَ عليهِ السَّلامُ على الصِّفةِ الّتي جاءَتْ في الحديثِ مِن طولٍ وعرضٍ.

(٤) غضَبُ اللهِ إرادَتُه الانتِقامَ مِن أعدائِه، وليسَ هو غضبً بغَلَيانِ الدَّمِ في القَلبِ ولا بانفِعالاتٍ ولا تأثُّرٍ لأنَّ اللهَ ليس له جوارحُ وأعضاءُ وشُعورٌ وإحساسٌ كالمخلوقاتِ، لا يُشبِهُهُ شيءٌ ولا يُشبِهُ شيئًا.

(٥) أي ليسَ أحَدٌ أمنَعَ مِن المعاصِي مِن اللهِ ولا أشَدَّ كرَاهِيةً لها مِنهُ تعالى، وقال القاضي عِياضٌ: "واللهُ تعالى يَتقدَّسُ عن تَغيُّرِ ذاتِه وصفاتِه، وغَيرَتُه ما غَيَّرَه مِن حالِ العاصي بانتِقامِه مِنه وأخْذِهِ له ومُعاقَبتِه في الدُّنيا والآخرة".

(٦) أي حفِظَ العرشَ وقهَرَه وأبقاهُ، ولا يجوزُ اعتِقادُ أنّه تعالَى جالِسٌ على العَرشِ.

فليسَ شيءٌ مِن نحوِ النُّصوصِ السّابقةِ المتشابِهة يُحمَلُ على ظاهِرِه، (**تَنَزَّهَ اللهُ عَمَّا**) يوهمُ في حَقِّه ما لا يجوزُ و(**لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ**) أي تنزُّهِه عن أوصافِ الحادثاتِ (**وَ**)لأهلِ الحقِّ أهل السُّنّة والجماعةِ فيها مَذهبان:

- **مذهبُ التّفويض**: وهو مذهبُ جمهورِ السَّلَف وبعضِ المُتكلِّمينَ: يقولونُ (**نُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ وَصِدْقٌ**) أي بحقيقةِ ما وَرَد مِن المُتشابهاتِ على ما يَلِيقُ باللهِ تعالَى، وأنَّ هذه النُّصوصِ غير محمولةٍ على ظاهرِها بل يُفوَّضُ معناها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ (**عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ**) اللهُ (**حُصُولَهُ وَ**)قالَهُ (**رَسُولُهُ**) ﷺ مع اعتقادِ تنزيهِ الله سبحانَه عن سائرِ سِماتِ الحُدوثِ، ويُسمَّى هذا التّأويلَ الإجماليَّ أيضًا.
- **مذهَبُ التّأويلِ**: أي التّأويل التّفيصيليّ، وهو مذهبُ الّذين يُؤَوِّلُون مُتشابِهات النُّصوص تفصيلًا على ما يَلِيقُ باللهِ تعالى، وهذا مذهَبُ أكثرِ المتكلِّمينَ وأهلِ الخلَفِ وجماعةٍ مِن السَّلَف.

فَمَن شاءَ تَبِعَ مذهبَ التّفويضِ، ومَن شاءَ تَبِعَ مذهبَ التّأويلِ، ولكِن (**مَنْ أَوَّلَ**) مِنهُم (**شَيْئًا مِنْهَا**) أي مِن المتشابِهاتِ تأويلًا تفصِيليًّا بتَعيينِ معنًى لها فإنّه يُنظَر في تأويلِه (**فَإِنْ كَانَ**) اللَّفظُ (**قَرِيبًا**) تاويلُه (**عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ لِسَانُ**) أي لُغةُ (**العَرَبِ وَتُفْهِمُهُ فِي مُخَاطَبَتِهَا**) مع توافُقِه معَ الآياتِ المُحكمةِ الّتي إليَها يكونُ رَدُّ المُتابِه لقولِه تعالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي إلى المُحكماتِ يُرَدُّ لأنّهُنَّ المَرجِعُ والأُمُّ، (**لَمْ نُنْكِرْهُ عَلَيْهِ**) أي على المؤوِّل تأويلًا تفصيليًّا (**وَلَمْ نُبَدِّعْهُ**) أي لَم نَنسُبْه إلى البِدعةِ في العقيدةِ، فإنَّ أمثال

ما ذَكرناهُ مِن تأويلاتٍ تفصيليّةٍ فيما سبَقَ واردٌ عن السَّلَفِ الصّالِح كأحمدَ بنِ حَنبلٍ والبُخاريّ، وكُلُّ ما قالُوه موافِقٌ لمعنَى قولِ الله تعالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

(**وَ**)أمّا (**إِنْ كَانَ**) المأَوّلُ تفصيلًا (**تَأْوِيلُهُ بَعِيدًا**) أي لا يَحتمِله اللَّفظ إمّا لأنّه لا يُطلَق في اللُّغة على مِثل هذا المعنَى أو لأنَّ الأدِلّة القاطِعة تأْباه (**تَوَقَّفْنَا عَنْ قَبُولِهِ وَاسْتَبْعَدْنَاهُ وَ**) ذلك كتأويلِ اليد بالجارحة وتأويل الاستواء بالاستقرار فإنَّ الدليل العقليّ القاطعَ والنقليَّ الثّابتَ قام على تنزُّهِ البارئ تعالَى عن ذلك، ثمَّ (**رَجَعْنَا**) بعد توقُّفِنا عن هذا المعنى (**إِلَى القَاعِدَةِ**) الّتي قَرَّرْناها (**فِي**) ذلك وهي الإقرارُ باللَّفظ معَ (**الإِيمَانِ بِمَعْنَاهُ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي أُرِيدَ**) مِن اللَّفظِ المُتاشبِه (**مَعَ التَّنْزِيهِ**) للهِ عمّا لا يجوزُ عليهِ.

(**وَمَا كَانَ**) مِن الآياتِ المتشابهاتِ (**مَعْنَاهُ مِنْ صِفَةِ الأَلْفَاظِ ظَاهِرًا مَفْهُومًا فِي تَخَاطُبِ العَرَبِ**) أي كانتِ العرَبُ تستعمِلُ مِثلَه في مخاطباتِهم (**قُلْنَا بِهِ**) أي بالمعنَى (**مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ**) وذلك كما (**فِي قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾)، فقولُه تعالى: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ (**نَحْمِلُهُ**) على المعنَى الّذي تَفهَمُه العرَبُ عند إضافةِ الجَنْب إلى غَيرِه مَجازًا فنقولُ: مَعناهُ يا نَدَمِي (**عَلَى**) ما قصَّرتُ في (**حَقِّ اللهِ**) أي ما يجبُ له، قاله سعيدُ بنُ جُبَيرٍ، (**أَوْ**) المعنَى على ما قصَّرتُ في (**مَا يَجِبُ لَهُ**) عَلَيَّ أي فيما أمرَني به قاله مجاهِدٌ، (**أَوْ**) نَحمِلُه (**عَلَى**) معنَى (**قَرِيبٍ مِنْ هَذَا المَعْنَى وَلَا نَتَوَقَّفُ فِيهِ**) فقال عكرمةُ: معناه على ما فرَّطتُ في ذكر الله، وقال الحسَنُ: معناه على ما فرَّطتُ في طاعة الله، وقيل غير ذلك.

(**وَكَذَلِكَ**) مِن المُتشابِهاتِ (**قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ**») رواه مُسلِمٌ (**فَـ**)ـهذا نصٌّ مُتشابِهٌ (**نَحْمِلُهُ**) أي الخبرَ (**عَلَى أَنَّ إِرَادَاتِ القَلْبِ وَاعْتِقَادَاتِهِ مُتَصَرَّفَةٌ**) أي مُصرَّفةٌ فيما صُرِّفَت فيه (**بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى**) سواءٌ كان ذلكَ الواقِعُ باختيارٍ كاعتقادٍ أو مِن غيرِ اختيارٍ كالخواطِر (**وَمَا**) شابَهَها مِمّا (**يُوقِعُهُ**) اللهُ عزَّ وجلَّ (**فِي القُلُوبِ**) وفيه للعُلماءِ تأويلاتٌ، مِنها أنّ معناه القلبُ أي بيَن نِعمتَين مِن نِعَمِه، يقال: لفُلانٍ عليَّ إِصبَعٌ أي أثَرٌ حسَنٌ إذا أنعَمَ علَيهِ نِعمةً حَسنةً، ومنها أنّه مُتصرِّفٌ بحسَبِ قُدرَتِه ومَشيئَتِه سُبحانَه وتعالَى، لا يُعترَضُ عليه ولا يَفُوته ما أرادَه، فليسَ معنى الحديثِ وَصفَ الله بالجارحةِ كما زعمَتِ المُشبِّهةُ المجَسِّمةُ، فاللهُ يَتَصَّرفُ بقلوبِ عبادِهِ كما يشاءُ مِن غير أن يَلحقَهُ تَعَبٌ ومَشَقَّةٌ بَل بِمَحضِ إرادتِهِ الأزليةِ وقدرتِهِ الأزليةِ يُحدِثُها مِن العَدَمِ إلى الوُجودِ. وقد جرَى على هذا التّفسِيرِ عُلَماءُ أهل السُّنّة ونَفَوا عن الله ما لا يَلِيقُ به، وإلى ذلك ذَهَب أهلُ اللُّغة أيضًا فقال ابن الأثير بَعد إيرادِه الحدِيثَ: "الأصابِعُ جَمعُ إصبعٍ، وهي الجارحةُ، وذلك مِن صِفاتِ الأجسامِ تَعالَى الله عَزَّ وجل عن ذلك وتَقَدَّس، وإطلاقُها عليه مجازٌ كإطلاقِ اليَدِ واليَمِين والعَينِ، وهو جارٍ مَجرَى التّمثِيل والكِنايةِ عن سُرعَة تَقَلُّب القُلوبِ وأنَّ ذلكَ أمرٌ مَعقُودٌ بمشيئة الله تعالَى".

(**وَهَكَذَا سَائِرُ**) أي باقِي (**الأُمُورِ الظَّاهِرَةِ**) في (**المَعْنَى المَفْهُومِ عِنْدَ سَامِعِيهَا مِمَّنْ يَفْهَمُ كَلَامَ العَرَبِ**) كقولِه تعالَى ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ أي الرُّوحِ المشرَّفةِ الطّاهِرةِ، والكلامُ هنا في الآيةِ على رُوحِ عيسَى عليه السّلامُ فهي رُوحٌ شريفةٌ مُبارَكةٌ طاهرةٌ لا أنّها جُزءٌ مِن الله، حاشا لله.

الإيمانُ بالملائكةِ الكِرامِ

(**وَنُؤْمِنُ**) ونُصدِّقُ (**بِجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ**) أي ملائكةِ اللهِ الكِرامِ، وهُم عِبادٌ للهِ مُكرَمونَ، ليسوا ذكورًا ولا إناثًا، خلَقَهم الله عز وجل مِن نُورٍ كما صحّ في حديثٍ رواه مُسلِمٌ.

وصُورةُ الملَكِ الأَصليّةِ هي صُورةٌ ذاتُ جناحَين فأكثرَ، قال تعالَى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾، لكِن ثبَت أنهم يَتشكَّلُون بغَيرِ صُوَرهم الأَصلِيّة إلا أنهم لا يَتصوَّرون بشَكلِ أنثَى ولا بشكلِ حشَراتٍ أو بهائمَ خبيثةٍ كخِنزيرٍ وكَلبٍ، وهم في كثرةٍ لا يعلمُها إلا الله، قال تعالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

ثمّ إنّ الملائكةَ لا يَتوالَدُون ولا يأكُلون ولا يَشرَبُون ولا ينامون، كُلُّهم مُستغرِقُون في طاعةِ اللهِ فيما أمرَهُم، فمِنهُم رسلُ الله إلى أنبيائِه، ومنهم حمَلةُ العَرشِ، ومنهم المُوكَلون بالمطَر والسَّحاب والجبالِ النّبات، ومنهم خزَنةُ الجَنّة وخزَنةُ النّارِ، ومِنهُم مَن وُكِّل ببني ءادمَ، وقد وصفهم الله تعالَى بأنّهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، فعصمَهُم اللهُ مِن المعاصِي، وذلكَ فَلا يَجوزُ ما نُسِبَ إلى الملَكَينِ الكريمَينِ هاروتَ وماروتَ مِن أنَّهُما فُتِنا بامرأةٍ يقال لها الزُّهَرَة، بل ما افتُرِي علَيهما في ذلكَ هو مِن وَضعِ الإسرائِيلِيّينَ الكَفَرةِ كما ذكر ذلك غيرُ واحدٍ مِن المُفسِّرين كالبغَوِيّ وابنِ الجَوزِيّ.

الإيمانُ بالكُتُبِ السَّماوِيّةِ

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بـ(ـكُتُبِهِ) أي الكُتبِ الّتي أنزَلها اللهُ على أنبيائِه، وهي مائةٌ وأربعةٌ كما جاءَ ذلكَ في حديثِ ابنِ حِبّانَ، ففي أبي ذَرٍّ الطويلِ أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**أُنْزِلَ عَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَأُنْزِلَ عَلَى أَخْنُوخَ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَأُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشَرُ صَحَائِفَ، وَأُنْزِلَ عَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشَرُ صَحَائِفَ، وَأُنْزِلَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ وَالْقُرْءَانُ**».

الإيمانُ بالأنبياءِ علَيهِمُ السَّلامُ

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بـ(ـرُسُلِهِ) أي الّذين أرسلَهمُ اللهُ تعالَى إلى الأُمَم ليُبلِّغُوهم مصالِحَ دينِهم ودُنياهم، فلَفْظة الرُّسُل هُنا شامِلةٌ للأنبياءِ غيرِ الرُّسلِ أيضًا، والفرقُ بينَ الأنبياءِ الرُّسُلِ وغيرِ الرُّسلِ أنّ الرَّسول يُوحَى إليه بشَرعٍ جديدٍ أو بنَسْخِ بعضِ شَرعِ الرَّسولِ الّذي كان قَبلَه، أمّا الأنبياءُ غيرُ الرُّسل فإنّهم يُؤمَرُونَ باتّباعِ شَرعِ الرَّسولِ الّذي كان قَبلَه وبأَنْ يَأْمُروا أقوامَهم بذلك. فكُلٌّ مِن الأنبياءِ والرُّسل مأمُورونَ بالتَّبليغ، وهذا هو التّعريفُ الّذي يَصِحُّ ولا يُلْتَفَتُ إلى مَن قال "إنّ النّبِيَّ لا يُؤمَرُ بالتّبليغ"، والتّعريف الّذي ذكرناهُ هو الّذي عليهِ عليه الأعلامُ كالشّيبانِيّ في شَرحِ «الفِقه الأكبر» وأبي منصورٍ البَغدادِيّ في «أصول الدّين» والفخر الرازِيّ في «تفسيره» والبَياضِي الحنَفِيّ في «إشارات المرام» والمفسِّر البَيضاوِيّ في «تفسيره» والقُونوي في «شرح العقِيدة الطحَّاوية» وغيرُهم مِن المُحقِّقِين.

وأمّا إيمانُنا بالرُّسُل والملائكةِ والكُتُبِ فيجِبُ (**إِيمَانًا كُلِّيًّا**) أي يَلزَمُنا أن نؤمِنُ مِن حيثُ الإجمال بأنّ للهِ مَلائِكةً وأنّه بعَثَ رُسُلًا وأنزَلَ على بَعضِهم كُتُبًا، (**فَـ**)ـأَمّا (**مَنْ ثَبَتَ بِعَيْنِهِ**) أنّه نَبِيٌّ في نَصٍّ شَرعيّ ثابتٍ كمُوسَى وعيسَى وإبراهيمَ عليهِم السّلامُ أو مَن ثبَتَ بالنُّصوصِ أنّه ملَكٌ (**كَجِبْرِيلَ**) رَسولِ اللهِ إلى الأنبياءِ بالوَحيِ (**وَمِيكَائِيلَ**) المُوكَل بالنّباتِ والمَطَر (**وَإِسْرَافِيلَ**) المُوكَل بنَفْخِ الصُّور (**وَمَلَكِ المَوْتِ**) المُوكَّل بقَبضِ الأرواحِ - واسمُه عَزرائِيلُ كما ثَبَت ذلك في أخبارٍ وءاثارٍ - رِضوان خازنِ الجنّةِ ومالِكٍ خازِنِ النّارِ ورَقِيبٍ وعَتِيدٍ المُوكّلانِ بكتابةِ أعمالِ العبادِ ومُنكَرٍ ونَكِيرٍ المُوكّلانِ بسُؤالِ الإنسانِ في قَبرِه فإنّه (**وَجَبَ**) مَن ثبَتَ عِندَه بنَصّ الشَّرعِ أنّه جاءَ ذِكرُهم على هذه الصِّفةِ (**الإِيمَانُ**) أي التّصدِيقُ (**بِهِ**) أي المذكورِ مِن هؤلاءِ ونحوِهم (**عَيْنًا**) بأنْ يُصدِّقَ بأنّ ما جاءَ بِهِ الشّرعُ في وَصفِ كُلٍّ مِنهُم حَقٌّ، (**وَ**)أمّا (**مَنْ**) لَم يأْتِ ذِكرُه مِن الملائكةِ في نَصٍّ ثابتٍ فـ(**ـلَمْ يُعْرَفِ اسْمَهُ**) فقَد (**ءَامَنَّا**) أي وَجَبَ التّصديقُ (**بِهِ**) أي بوجودِ ملائكةٍ (**إِجْمَالًا، وَكَذَلِكَ**) أي ومِثلُ ذلكَ يُقالُ في (**الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ**) أو الصُّحُف الّتي لَم يأْتِ نَصٌّ على مَن نُزِّلَتْ، فإنَّ بعضَ العُلماءَ أبَى تعيينَ عددِ الكُتب المُنزلةِ لتضعِيفِهم حديثَ ابنِ حِبّانَ.

(**وَ**)كذلكَ (**الأَنْبِيَاءُ المُرْسَلُونَ**) إلى النّاسِ (**مَنْ عَلِمْنَا**) بطريقٍ ثابتٍ كنصِّ القرءانِ أو الحديثِ الثّابتِ (**اسْمَهُ**) فقَد (**وَجَبَ**) علينَا بعدَ العِلمِ باسمِه (**الإِيْمَانُ**) أي التّصديقُ بأنّ الأمرَ كما أخبَرَ الشّرعُ عن هذا النبيّ (**بِعَيْنِهِ**) لكن لا يجبُ عَينًا على كُلِّ مكلَّفٍ حِفظُ أسماءِ الأنبياءِ الخمسةِ والعشرينَ الواردةِ أسماؤُهم في القرءانِ كما أنّه لا يجبُ عَينًا على كُلِّ مُكلَّفٍ حِفظُ أسماءِ الملائكةِ الواردةِ أسماؤُهم في القُرءانِ

والحديثِ. وقد ورد في القرءانِ اسمُ خمسةٍ وعشرِينَ نَبِيًّا كما قُلنا وهم: ءادَمُ وإدريسُ وإبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ وإلياسُ والْيَسعُ ويُوشَعُ ويُونُسُ ويَعقوبُ ويُوسفُ وهُودٌ وهارونُ وشِيثٌ وشُعَيبٌ وذُو الكِفْل ونُوحٌ وصالِحٌ وزَكريّا وداودُ وعِيسَى وسُلَيمانُ ومُوسَى ولُوطٌ ومحمَّدٌ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمَعِينَ وعلى سائِر إخوانِهم مِن النَّبِيّينَ والمُرسَلِين **(وَمَنْ لَمْ نَعْلَمِ اسْمَه ءَامَنَّا بِهِ إِجْمَالًا)** كما قدَّمْنا في شأنِ الملائكةِ الكِرام، فإنَّ الله لم يُنزِل في القُرءانِ الكريمِ أسماءَ جميعِ الأنبياءِ وأخبارَهُم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

(وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ) أي مِن نُبُوّة نَبِيّ مِن الأنبياء وملَكِيَّة ملَكٍ مِن الملائكةِ ونُزول كتابٍ مِن الكُتب **(ثَابِتًا بِالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ)** كنبُوّة ءادمَ عليه السّلام وكَونِ جبريلَ عليه السَّلام ملَكًا وكَونِ القُرءانِ والإنجيلَ كِتابَين مُنزلَين على بعضِ أنبياءِ اللهِ **(كَفَرَ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ)** ويَجحَدُه.

الإيمانُ برسولِ اللهِ محمَّد ﷺ

(وَنُؤْمِنُ بِأَنَّهُ) عزّ وجلَّ قد **(أَرْسَلَ مُحَمَّدًا)** نبيًّا رسولًا، ومحمّد هو ابنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المُطَّلِب بنِ هاشِم بنِ عبدِ مَنافِ بنِ قُصَيّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعبِ بنِ لُؤَيّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْر بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيمةَ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرِ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدنانَ العرَبِيّ القُرَشِيّ (ﷺ) وكان إرسالُه ﷺ **(إِلَى كَافَّةِ خَلْقِهِ)** أي الثَّقلَينِ مِن خَلقِ اللهِ الإنسِ والجِنّ إرسالًا **(بِالحَقِّ)** الّذي لا شَكَّ فيه ولا مِريةَ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وروَى

البُخارِيُّ عنِ جابِرٍ رضي الله عنه أنّ رَسولَ الله ﷺ قال: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبعَثُ إِلَى قَومِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»، ومعنَى «**يُبعَثُ إِلَى قَومِهِ خَاصَّةً**» أنّ الأنبياء الماضِينَ كان يُرسَلُ أحَدُهم إلى ناحيةٍ وءاخَرُ إلى ناحيةٍ ومِنهُم مَن يُرسَل إلى قومِه يُنَصُّ له على ذلك بالوحيِ يقول له جبريل: أنتَ رَسولُ الله إلى قَومِك، أمّا إنكارُ المُنكَر والتَّبلِيغُ مِن حيثُ المعنَى فهو مأمورٌ بِه سواءٌ أكانَ لِقَومِه أم غَيرِهم.

تأييدُ اللهِ نَبِيَّهُ محمَّدًا ﷺ بالمُعجِزاتِ

(**وَأَيَّدَ**) اللهُ نَبِيَّـ(ـهُ) ﷺ (**بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ**) الدّالّةِ على صِدْقِه ﷺ في دَعواهُ النُّبُوّة، والمعجزةُ أمرٌ خارِقٌ للعادةِ يَحصُل على وَفْق دَعوَى مَن ادَّعَى النُّبُوّة سالِمٌ مِن المعارَضة بالمِثل، ووَجهُ دلالَتِها على صِدْق الرَّسُول أنّها نازِلةٌ مَنزِلةَ قولِ الله عزَّ وجل "صَدَق عَبدِي فِيما يُبَلِّغُ عَنِّي"، وبيان ذلك أنّه لو ادَّعى مدَّعٍ النُّبوةَ والرِّسالةَ وقال: ءايةُ صِدْقِي في دَعْوايَ أنْ يَخرِقَ الله ليَ العادةَ فتَنطِقَ هذه الشَّجرةُ وتَتكلَّمَ بتَصدِيقي، فإذا نطَقَتِ الشَّجَرة على وَفقِ ما قال كان ذلك نازِلًا مَنزِلةَ قوله عزّ وجلّ: "صَدَق عَبدِي فِيما يُبَلِّغُ عَنِّي"، وتقريبُ ذلك أنه لو برَزَ مِلِكٌ للنّاسِ وقد وقفوا حوله مُحْتَشِدِين يُشاهِدُونه ويَسمعُونه إذْ نَهَض واحِدٌ منهم فنادى: "أنا رسولُ المَلِك إليكم وءايةُ صِدْقِي أنْ يُبْرِز المَلِكُ خاتَمه أو يَهُزّ برأسِه أو نحوُ ذلك" والمِلِكُ يَسمَعُه كما يسمَعُه الحضورُ، فإذا أبرَزَ المِلِكُ خاتَمه أو هزّ برأسِه أو فعَلَ ما قاله هذا الرَّجُل كان ذلك نازِلًا مَنزلةَ قولِه للنّاس: "صَدَقَ هذا الرَّجُل فيما يقولُه مِن دَعْواهُ الرِّسالةَ".

ثمّ إنّ المعجِزات (**الَّتِي**) ءاتاها اللهُ عَزَّ وجلَّ لنَبيّه المُصطفَى ﷺ كثيرةٌ جِدًّا، حتّى إنّه عزَّ وجلّ لم يُعْطِ نَبيًّا مُعجِزةً إلا وأعطَى سَيّدَنا مُحَمَّدًا ﷺ مِثلَها أو أعظَمَ مِنها كما قال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه، فـ(**مِنْهَا القُرْءَانُ المَجِيدُ**) وهو الكِتابُ (**الَّذِي**) أنزَلَه اللهُ عزَّ وجلَّ على نَبيّه محمَّدٍ ﷺ (﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾) أي الإبطالُ (﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾) إذْ ليسَ في الكُتب الّتي أنزِلَتْ قَبلَه ما يُكذِّبُه ولا يَنزِل كتابٌ بعدَه يُكذِّبه (﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾) في جميع أقواله وأفعاله (﴿حَمِيدٍ﴾) أي مستحِقٌّ للحَمدِ على ما أسدَى لخلقه مِن النِعَمَ التي يَجِلُّ عَدِيدُها عن إحصائهم، ومِن جُملَتِها تنزيلُ هذا الكتابِ العزيز.

مُعجِزةُ القُرءانِ العَظِيمِ

وقد (**أَعْجَزَ**) هذا الكتابُ (**البُلَغَاءَ**) فلم يستطيعوا أن يقارِبوا بلاَغته (**وَأَفْحَمَ**) أي غَلَب وأسكَتَ (**الفُصَحَاءَ**) فلم يَقدِرُوا أنْ يَفُوهوا بمِثلِه (**بَعْدَ أَنْ تَحَدَّاهُمْ**) جميعًا وهم المتفاخِرُون المتظاهِرُون بحُسْن عَبائِرهم وجَزالةِ أَقوالِهم (**أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ**) أي بكَلامٍ له نَظمٌ كنَظْم القُرءان في أعلَى طبقاتِ البَلاغةِ (**فقال**) عزَّ وجلَّ (﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾) أي مُعِينًا، ثُمّ تَحدَّاهم بأنْ يأتوا بعَشرِ سُوَرٍ مِن مِثلِه فنُكِصُوا (**ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ**) على أنْ يأتوا (**بِسُورَةٍ مِنْهُ**) أي مِثلِها (**فَقَالَ**) عزَّ وجلَّ (﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾) أي مِن مِثلِ ما فيه مِن السُّوَر، وهو على معنَى التَّحَدّي والإعجازِ، (**فَقَهَرَهُمُ العَجْزُ أَجْمَعِينَ**) إذ ءاثروا الحُروب بما فيها مِن بَذْل المُهَج والأنفُسِ والأموالِ

والعَتادِ على المَجِيء بمثل سُورةٍ مِن القرءانِ أو حتَّى بما يُقارِبُها، ومعلومٌ أنّ المَصِيرَ إلى الأصعَبِ لا يكون إلا عِنَد العجزِ عن الأسهلِ غالِبًا، فلو قَدَرُوا على معارضةِ القُرءانِ لكُفُوا مُؤنةَ القِتال ولكنّهم انصَرَفُوا إليه مَغلوبِينَ مَقهُورِينَ فباؤُوا بالخَسارِ في الدُّنيا ويَومِ الدِّين، **(وَأَجَابَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الحُسْنَى)** أي الخَصلةُ المفضلةُ في الحُسنِ **(مِنَ اللهِ تَعَالَى)** فانساقَ المُجِيبُ مُختارًا إلى الحَقّ وخضَعَ له ونَفَذ ما أرادَ الله وعَلِمه عزّ وجلَّ.

ذِكرُ بعضِ مُعجزاتِ النّبيّ محمَّد ﷺ

(ثُمَّ) إنَّ الله عزّ وجل قد **(أَيَّدَهُ)** أي نبيَّه محمَّدًا **(مَعَ ذَلِكَ)** أي إضافةً إلى إنزال القُرءانِ عليهِ **(بِالآيَاتِ)** أي العلاماتِ الظاهراتِ والمُعجزاتِ الباهراتِ **(المُتَعَدِّدَةِ)** الكثيرةِ **(الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ)** ﷺ وذلك **(كَالإِخْبَارِ عَنِ الغُيُوبِ)** ومِن ذلك إخبارُه ﷺ عن افتراقِ أُمَّتِه إلى ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً وقَد حصَلَ كما قالَ، وإخبارُه عن فتحِ القُسطنطينية وقَد وقَع ذلكَ على يدِ السُّلطانِ محمَّد الفاتح رضي الله عنه، وإخبارُه ﷺ أنّ الفِتَن لا تَظهَرُ ما دام عُمَر حيًّا، وأنّ عمَّارا تَقتلُه الفئةُ الباغيةُ أي الظّالِمةُ، وأنّ فاطِمةَ رضي الله عنها أوَّلُ أهلِ بَيتِه لُحوقًا به أو موتًا، وغيرُ ذلك.

وكـ**(تَكْثِيرِ الطَّعَامِ)** القليلِ بينَ يدَيهِ وبدعائِه ﷺ، ومن ذلك ما رواه الشّيخانِ أنّ جابرَ بنَ عبد الله رضي الله عَنهُما رأى جُوعًا شدِيدًا بالنَّبِيّ ﷺ فانطَلَق إلى بَيتِه وأخرَجَ جِرابًا فيه صاعٌ مِن شَعِيرٍ وذَبَحَ شاةً وجَهَّزَ هو وزوجتُه طعامًا، ثُمّ دعَا رسولَ

الله ﷺ إليه، فجاءَ النَّبيُّ ﷺ ومعَهُ أهلُ الخَنْدَقِ وأمَرَ جابِرًا بأن لا يُنزِلَ القِدْرَ ولا يَخْبِزَ الخُبزَ حَتَّى يأتِيَه ﷺ ليُبارِكَ فيه، فأكَلُوا جَمِيعًا مِنه وشَبِعُوا والطَّعامُ كما هُوَ.

(وَ)كنَبْعِ (المَاءِ) مِن بينِ أصابِعه ﷺ، فعَن جابِرٍ رضي الله عنه قال: عَطِشَ النّاسُ يومَ الحُدَيبيةِ والنَّبيُّ ﷺ بين يَدَيه ركْوةٌ يَتوضّأُ مِنها، فجَهِشَ النّاسُ نَحوَه، فقال ﷺ: «**مَا لَكُم؟**»، فقالوا: ليسَ عِندَنا ماءٌ نَتوضّأُ ولا نَشرَبُ إلا ما بينَ يَديكَ، فوضَعَ يدَه ﷺ في الرّكوةِ فجعَلَ الماءُ يَثُورُ بينَ أصابِعِه كأمثالِ العُيونِ، فشَرِبْنا وتَوضَّأْنا، فسُئِل جابرٌ: كَم كُنتم؟ قال: لو كُنّا مائةَ ألْفٍ لكَفَانا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرةَ مِائة، مُتَّفقٌ عليه.

(وَ)كـ(**ـانْقِيَادِ الشَّجَرِ**) لإشارَتِه ولدَعوَتِه ﷺ، فقد روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: سِرنا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلنا وادِيًا أفيَحَ، فَذَهَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَقضِي حاجَتَهُ، فاتَّبَعتُهُ بِإداوَةٍ مِن ماءٍ، فَنَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ فَلَم يَرَ شَيئًا يَستَتِرُ بِهِ، فَإذا شَجَرَتانِ بِشاطِئِ الوادِي، فانطَلَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلَى إحداهُما، فَأخَذَ بِغُصنٍ مِن أغصانِها فَقالَ: «**انْقادِي عَلَيَّ بِإذنِ اللهِ**» فانقادَت مَعَهُ كالبَعِيرِ المَخشوشِ الَّذِي يُصانِعُ قائِدَهُ، حَتَّى أتَى الشَّجَرَةَ الأُخرَى فَأخَذَ بِغُصنٍ مِن أغصانِها فَقالَ: «**انقادِي عَلَيَّ بِإذنِ اللهِ**» فانقادَت مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إذا كانَ بِالمَنصَفِ مِمّا بَينَهُما لَأَمَ بَينَهُما - يَعنِي جَمَعَهُما - فَقالَ: «**الْتَئِما عَلَيَّ بِإذنِ اللهِ**» فالتَأمَتا، قالَ جابِرٌ: فَخَرَجتُ أُحضِرُ مَخافَةَ أن يُحِسَّ رَسولُ اللهِ ﷺ بِقُربِي فَيَبتَعِدَ فَجَلَستُ أُحَدِّثُ نَفسِي، فَحانَت مِنّي لَفتَةٌ، فَإذا أنا بِرَسولِ اللهِ ﷺ مُقبِلًا وَإذا الشَّجَرَتانِ قَدِ افتَرَقَتا، فَقامَت كُلُّ واحِدَةٍ مِنهُما عَلَى ساقٍ، فَرَأيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ وَقَفَ وَقفَةً، فَقالَ بِرَأسِهِ هَكَذا ثُمَّ أقبَلَ، فَلَمّا انتَهَى إلَيَّ قالَ: «**يا جابِرُ هَل رَأيتَ مَقامِي؟**» قُلتُ: نَعَم يا رَسولَ اللهِ، قالَ: «**فانطَلِق إلَى الشَّجَرَتَينِ فاقطَع**

مِن كُلِّ واحِدَةٍ مِنهُما غُصنًا، فَأقبِل بِهِما، حَتَّى إذا قُمتَ مَقامِي فَأرسِل غُصنًا عَن يَمِينِكَ وَغُصنًا عَن يَسارِكَ»، قالَ جابِرٌ: فَقُمتُ فَأخَذتُ حَجَرًا فَكَسَرتُهُ وَحَسَرتُهُ، فانذَلَقَ لِي، فَأتَيتُ الشَّجَرَتَينِ فَقَطَعتُ مِن كُلِّ واحِدَةٍ مِنهُما غُصنًا، ثُمَّ أقبَلتُ أجُرُّهُما حَتَّى قُمتُ مَقامَ رَسولِ اللهِ ﷺ، أرسَلتُ غُصنًا عَن يَمِينِي وَغُصنًا عَن يَسارِي، ثُمَّ لَحِقتُهُ، فَقُلتُ: قَد فَعَلتُ، يا رَسولَ اللهِ فَعَمَّ ذاكَ؟ قالَ: «**إنِّي مَرَرتُ بِقَبرَينِ يُعَذَّبانِ، فَأحبَبتُ، بِشَفاعَتِي، أن يُرَفَّهَ عَنهُما، ما دامَ الغُصنانِ رَطبَينِ**».

(**وَ**)كـ(**ـحَنِينِ الجِذْعِ**) فقد رَوَى البخاريُّ عن ابنِ عمر رضي الله عنهما أنه قال: كان النّبيُّ ﷺ يَخطُب إلى جِذْعٍ، فلمّا اتخَذَ المِنبرَ تحوّل إليه فحَنَّ الجِذعُ فأتاه فمَسَح يَدَه علَيه.

(**وَ**)كـ(**ـانْشِقَاقِ القَمَرِ**) وحادِثَتها مَشهورةٌ رَواها البُخاريُّ، (**وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ بِهِ الخَبَرُ**) مِن مُعجزاتِه ﷺ (**وَنَقَلَهُ**) الرواةُ مِن (**أَهْلُ العَدَالَةِ**) في الرّوايةِ (**وَمَنْ يُقْطَعُ بِصِحَّةِ اعْتِقَادِهِم وَتَدَيُّنِهِمْ بِتَحْرِيمِ الكَذِبِ**) فتحصَّل في القَلبِ مِن جَميع تلكَ الرِّواياتِ القَطْع بانخِراقِ العادةِ له ﷺ على وَجْهٍ يُثبِتُ نُبوَّتَه عليه الصلاة والسلام.

وهذا كلّه (**مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ**) النَّبيّ (ﷺ **مِنَ الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا**) إذْ عُرِضَت عليه ﷺ خزائن الأرض فأباها (**وَ**)مِن (**الرَّغْبَةِ فِي الآخِرَةِ وَمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى**) مِن الجزاءِ الجزيلِ والإقبالِ على ذلكَ بحَالِه وفِعلِه وقَالِه، (**وَاطِّرَاحِ الأَسْبَابِ فِي الاعْتِقَادِ وَالاعْتِمَادِ عَلَى رَبِّ الأَرْبَابِ**) أي مالِكِ المالكِينَ (**وَ**)العمَلِ بـ(**ـكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالعِبَادَةِ وَالتَّذْكِيرِ**) للنّاسِ بالآخِرة (**وَالتَّبَتُّلِ**) أي الانقطاعِ إلى الاشتغالِ بعبادةِ اللهِ وطاعَتِه (**الَّذِي اقْتَضَى تَفْطِيرَ**) أي تورُّمَ (**قَدَمَيْهِ مِنَ**) كَثرةِ (**القِيَامِ**) بصلاةِ اللَّيلِ لكنّه وَرَمٌ خَفيفٌ يَزولُ

بالرَّاحةِ ولا يُعقِّب ضررًا، فإنّه يجِبُ التّحذيرُ والحذَرَ مِنْ أن يُنسَب إلى النّبيّ ﷺ أنّه أَضَرَّ بنَفسِه أثناءَ قيامِ اللّيلِ إلى حَدّ تَشقُّقِ القَدَمينِ وخُروجِ الدّمِ فهَذا لا يَفعَلُهُ الرَّسُولُ ﷺ، حاشاهُ، بل هُو ﷺ قال: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»، فيَستحِيلُ على نَبِيّ مِن الأنبياءِ عليهِمُ السّلامُ أنْ يُضِرَّ بنفسِه، وقد اتَّفَقت شرائِعُ الأنبياءِ على حِفْظ النَّفْسِ.

(**إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ**) ﷺ (**الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا تُحْصَى**) أي الّتي نَعجَزُ عن إحصائِها (**كَثْرَةً**) أي مِن كَثرتِها (**وَلَا يَحْتَاجُ مَوَفَّقٌ مَعَهَا إِلَى سِوَاهَا دَلِيلًا**) على نُبُوّته ﷺ.

الإيمانُ بِما جاءَ بهِ النّبيُّ محمَّد ﷺ

(**وَنُؤمِنُ**) أيضًا (**بِأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ**) النَّبِيُّ ﷺ (**مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى**) هو أمرٌ (**حَقٌّ وَصِدْقٌ**) سواءٌ كان مِن أخبارِ مَن قَبلَنا مِن الأُممِ وبَدءِ الخَلْق أم مِن التّحلِيل والتّحريم أم مِمّا أخبَرَ بِه مِمّا يَحدُث في المُستَقبل، وذلكَ (**مِنْ**) نَحوِ (**انْفِطَارِ السَّمَاءِ**) أي انشقِاقها، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، (**وَانْكِدَارِ النُّجُومِ**) أي اندِثارُها وانطِفاءُ نُورِها وتَساقُطِها على الأرضِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾، (**وَتَكْوِيرِ الشَّمْسِ**) وهو جَمعُ بَعضها على بَعضٍ ولَفُّها، فإذا فُعِل بها ذلك ذهَبَ ضَوؤُها، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، (**وَزَوَالِ هَيْئَةِ العَالَمِ**) أي تَغيُّره، فمِن ذلكَ تَسييرُ الجِبالِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ أي صارَتْ هباءً مَنثورًا، ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾، ومنه تَسجيرُ البُحورِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ أي اشتَعلَتْ فصارَتْ نارًا، (**وَ**)كـ(**ـانْتِقَالِ الخَلِيقَةِ**) أي النّاسِ (**بِأَجْسَامِهِمْ**) الّتي يكُونونَ عليها (**إِلَى الدَّارِ الآخِرَةِ**) أي إلى أنْ يَتسقِرَّ أهلُ الجنّة في بالجنّةِ وأهلُ النّارِ في النّارِ، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ فيُبعَث النّاسُ يومَ القيامةِ ويُحشَرون (﴿لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾) الّتي عَمِلُوها في الدُّنيا فيَعلَمون ما قَبِلَه الله منهُم وما لم يَقْبَلْهُ ولا يُضِيعُ اللهُ أجرَ العامِلين، (﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾) في هذه الحياةِ الدُّنيا (﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾) في صحائف أعماله ويجزى عليه (﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾) في هذه الحياة الدنيا ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾) في صحائفِ أعمالِه ويُجازَى عليه ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾.

الإيمانُ بِيَومِ القِيامةِ

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بِما أخبَرَ بِهِ الرّسولُ ﷺ مِن (**وُقُوفِهِم**) أي العِبادِ (**لِلْحِسَابِ**) وهو عَرْضُ أعمالِ العِباد عليهم (**وَوَزْنِ أَعْمَالِهِم**) الّتي كُتِبَت في صُحُفِهِم، قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾ وجاءَ فيما رواه البيهقيُّ مرفوعًا: «**يُؤْتَى بِابْنِ ءَادَمَ فَيُوْقَفُ بَيْنَ كَفَّتَيِ المِيزَانِ**"» الحديث، والميزانُ جِسمٌ مَحسوسٌ له لِسانٌ وكفَّتانِ يُعرَف به مَقاديرُ الأعمالِ بأَنْ تُوزَنَ به الصُّحُف أو تُوزَن الأعمال نَفسُها بعد تَجَسُّمِها (**وَجَوَازِهِم عَلَى الصِّرَاطِ**) فقَد جاءَ في الصَّحِيحَين مرفوعًا: «**فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ**»

الحديثَ، والصِّراطُ جِسرٌ يُمدُّ على ظَهرِ جهنَّمَ أي في جَوِّها، أحَدُ طرفَيه في الأرضِ المُبدَّلة والآخَر فيما يلي الجنّةَ، يَمُرّ عليه جميعُ الخلائِق فيَجُوزُه أهلُ الجنّة وتَزِلُّ به أقدامُ أهلِ النّار.

الإيمانُ بالجَنّةِ والنّارِ

(وَ)يجِبُ الإيمانُ بـ(ـاسْتِقْرَارِهِم) أي العِبادِ بعدَ الحِسابِ وَجوازِ الصِّراطِ (فِي دَارِ النَّعِيمِ) المُقِيم إلى أبَدِ الآبِدِينَ (وَهِيَ الجَنَّةُ) وذلك لا يَكونُ إلّا لِمَن وافَتْهُ المَنِيّةُ مُؤمِنًا باللهِ عزّ وجلَّ وبرَسولِه ﷺ.

ومِمّا جاءَ في بيانِ بعض أوصافِ الجنّة ما قالَه النَّبِيُّ ﷺ لأصحابِه: «**أَلَا هَلْ مُشَمِّرٍ لِلْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا**» أي لا تُشبِهُ ما رأَيتُمُوه «**هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ، وَنَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ**»، (أَوْ) استِقرارِهم في (دَارِ العَذَابِ) إلى ما لا نِهايةَ له (وَهِيَ النَّارُ) ولا يُخلَّد فيها إلا مَن كَفَر باللهِ عزّ وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾ أمّا مَن دخلَ النّار مِن أهلِ الكبائِرِ من المُسلِمين فإنّه لا يُخَلّد فيها بل مآلُه أنْ يَخرُج منها ويَدخُل الجنّة مُستقِرًّا فِيها إلى أبَدِ الآبِدِينَ، و(كُلُّ ذَلِكَ) الّذي يَجِدُه أهلُ الجنّة في الجنّة وأهلُ النّارِ في النّار هو (رَاجِعٌ إِلَى أُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ) لا خيالاتٍ بل حقائقُ (فِي الجَنَّةِ وَالنَّارِ مِنَ النَّعِيمِ وَالعَذَابِ) كما دلّت على ذلك الآياتُ والأخبارُ، فمِن ذلكَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمۡ فِيهَا

فَكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وقولُه تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴾، وقولُه تعالى: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾.

(وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي القُرْءَانِ الكَرِيمِ وَصَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ) في الأخبارِ **(عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ءَامَنَّا بِهِ)** وجوبًا **(عَلَى ظَاهِرِهِ إِذَا كَانَ)** له **(ظَاهِرُهُ جَائِزًا عَقْلًا)** كالشّدائِد التي تكونُ في الموقِف مِن طُولِ الوقوف وبلوغِ العَرَق إلى الآذانِ وتَطايُر الصُّحُف مِن خِزانةِ تحتَ العَرشِ بعدَ أن تُؤخَذ مِن كَتَبَتِها وشهادةِ الآلاتِ والجَوارِح على صاحبِها وغيرِ ذلك مِن كلّ ما ثبَت مِمّا جاءَ به النَّبِيُّ ﷺ.

الإيمانُ بعَذابِ القَبرِ ونَعِيمِه

(وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ القَبْرِ) وهو للكافِر ولِمَن لم يَعفُ الله عنه مِن فُسّاق المؤمنِين، قال البيهقيُّ: "والأخبارُ في عَذابِ القَبر كثيرةٌ، وقد أفرَدْنا لها كتابًا مُشتمِلًا على ما وَرَد فيها مِن الكِتابِ والسُّنّة والآثار". ونَصّ السُّيُوطيُّ على تواتُر الخبَر في عذابِ القَبر.

ومِن عذابِ القَبر ضَغْطَتُه وهو انضِمامُ اللَّحْد بَعضُه إلى بَعضٍ، ومِن عذابِ القَبْر عَرضُ النّارِ على الكافِر كُلّ يومٍ مَرَّتَين مرّةً أوّل النّهار ومرةً ءاخِرَ النّهارِ يَتعذَّب بِنَظَره ورُؤيتِهِ لمَقْعَدِه الّذي يَقُعُده في الآخرة، ومنه أنّ بعضَ الناس يُسلَّط عليهم الثّعابِينُ،

وبعضُ النّاس يأتِيهِم رِيحُ جهنَّم إلى قَبرِه، وكذلك مِن عذابِ القَبرِ الانزِعاجُ مِن ظُلْمةِ القَبرِ ووَحْشَتِه.

(وَ)يجبُ الإيمانُ بـ(ـنَعِيمِهِ) أي القَبرِ لما ورد في ذلك من النصوص ولا يختص بمؤمني هذه الأمة كما أنه لا يختص بالمقبور. ومن جملته توسيعه وفتح طاق فيه من الجنة وامتلاؤه بالرَّوح والريحان وجعله روضة من رياض الجنّة وكلّ هذا محمول على الحقيقة عند العلماء.

الإيمانُ بسُؤالِ الملَكَينِ في القَبرِ

(وَ)نؤمن بـ(ـمُسَاءَلَةِ المَلَكَيْنِ) منكر ونكير وهما شخصان أسودان أزرقان هائلان مَهِيبان تَتدلَّى شعورُهما إلى أقدامِهما وأنيابهما يَشُقّان الأرض بهما وتلمَعُ النار بينهما وأعينهما كالبرق الخاطف وكلامهما كالرعد القاصف بأيديهما مَقامع مِن حديد فيسألان الميّت من هذه الأمة بعد تمام دَفنه (عَنِ الإِيمَانِ) فيترفّقان بالمؤمن وينتهران المنافق والكافر، وقد جاء فيما يدل على عذاب القبر ونعيمه والمساءلة خبر رواه البيهقي في الاعتقاد بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال «**إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّوْنَ عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ " مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى**

مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَتَقُولُ: فَعَلَ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي أُصَلِّي قَالَ: فَيَقُولَانِ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ هَذَا فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ قَالَ: عَمَّا تَسْأَلُونِي؟ قَالَ: مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي فِيكُمْ وَبِمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ فِيهَا فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ وَيُعَادُ الجَسَدُ كَمَا بَدَأَ، وَتُجْعَلُ نَسْمَتُهُ مِنَ النَّسِيمِ الطَّيِّبِ وَهُوَ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الجَنَّةِ » قال أبو هريرة: وهو قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، «وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ثُمَّ، أُتِيَ عَنْ يَسَارِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ أَيُّ رَجُلٍ هُوَ، مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ

وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» قال أبو هريرة: فذلكَ قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

الإيمانُ بالنَّفخِ في الصُّورِ

(وَ)نُؤمِنُ بـوجودِ **(الصُّورِ)** وهو قَرنٌ عظيمٌ (وَ) بـ**(ـالنَّفْخِ فِيهِ)** أي الصُّورِ في الوقتِ المعلومِ، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي ماتُوا مِن الفزَعِ وشِدَّةِ الصَّوتِ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي بعضُ المُستثنَين ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ وهي النَّفخةُ الثّانية **(لِرَدِّ الأَرْوَاحِ إِلَى الأَجْسَادِ)** والقِيامِ إلى المحشَرِ والمَنشَرِ.

الإيمانُ بأشراطِ السَّاعةِ

(وَ)نؤمن **(بِجَمِيعِ مَا صَحَّ)** أي ثبَتَ بالنُّصوصِ الشّرعيّة **(مِنْ أَشْرَاطِ)** أي علاماتِ **(السَّاعَةِ)** الدّالّةِ على اقترابِها **(عَلَى وَجْهِهِ)** أي إيمانًا على ما جاءَ فيه ذلكَ (وَ)على **(حَقِيقَتِهِ كَنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلَامُ)** مِن السَّماءِ، قيل: هي السَّماءُ الثّانيةُ، وفي ذلكَ قال رسولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَحَكَمًا عَدْلا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيُصْلِحَنَّ ذَاتَ الْبَيْنِ وَلَيُذْهِبَنَّ الشَّحْنَاءَ، وَلَيُعْرَضَنَّ عَلَيْهِ الْمَالُ فَلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ ثُمَّ لَئِنْ قَامَ عَلَى قَبْرِي فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ لأُجِيبَنَّهُ**» رواه الحاكم وصَحَّحه، (وَ)كـ**(ـقَتْلِهِ)** أي قَتلِ عيسَى عليهِ السّلامُ المَسِيحَ الأعوَرَ **(الدَّجَّالَ)** وهو رجُلٌ يظهر في ءاخر الزمان تحصُل في أيامِه فِتنةٌ

عظيمةٌ/ فعن أبي أُمامة الباهِليّ رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، فَإِنَّهُ يَبْتَدِئُ فَيَقُولُ أَنَا نَبِيٌّ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ، وَلَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَلَيْسَ رَبُّكُمْ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَقْرَأْ بِفَوَاتِحِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَلْيَسْتَغِثْ بِاللهِ تَكُونُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُمَثِّلُ لَهُ عَلَى صُوَرِ النَّاسِ، فَيَأْتِي الْأَعْرَابِيَّ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَتَمَثَّلُ لَهُ شَيَاطِينُهُ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ يَا بُنَيَّ اتْبَعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا وَيُحْيِيهَا، وَلَنْ يَعُودُ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ بِنَفْسٍ غَيْرِهَا، يَقُولُ: انْظُرُوا عَبْدِي، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، فَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ لَهُ: رَبِّيَ اللهُ، وَأَنْتَ الدَّجَّالُ عَدُوُّ اللهِ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ يَقُولُ لِلْأَعْرَابِيِّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ إِبِلَكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَتَمَثَّلُ لَهُ الشَّيَاطِينُ عَلَى صُورَةِ إِبِلِهِ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تَنْبُتَ فَتُنْبِتَ، وَأَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُوهُ فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ، وَيَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ لَهُمْ، وَالْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ لَهُم فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، أَمَدَّهُ خَوَاصِر وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا».

(وَ)كـ(ـخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) مِن خَلْفِ سَدِّهم، وهم قومٌ مِن ولَدِ ءادَم لا يَمُوت مِنهُم رجُلٌ إلّا تَرَك مِن ذُرّيّته ألفًا فصاعِدًا كما جاء ذلكَ في خبَرٍ رواهُ مُسلِمٌ مرفوعًا، وفيه أيضًا في خبَرِ النَّبِيّ عن الدَّجّال قال: «وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مِهْرَوَدَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ ءَاخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى

يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ ءَابَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

(وَ)نُؤمِنُ بخُروجِ (**دَابّةِ الأَرْضِ**) وهي دابّةٌ تَخرُج مِن جبَلِ الصَّفا أو أرضِ الطائِف أو غَيرِهما، ولَم يَرِدْ في تعيينِ مَوضِع خُروجِها حديثٌ صحيحٌ. قيل: طولُها سِتُّونَ ذِراعًا، وهي ذاتُ قوائِمَ ووَبَرٍ، وقيل هي مُختلِفةُ الخِلْقة تُشبِهُ عِدّةً مِن الحيَواناتِ، لا يُدرِكُها طالِبٌ ولا يُعجِزُها هارِبٌ، تُكلِّمُ النّاس وتُميّز المؤمنَ مِن الكافرِ، قال الله تعالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: "تُكلِّم المؤمنَ وتُكلِّم الكافِرَ".

تَوَلِّي أصحابِ رسولِ ﷺ

(**وَنَتَوَلَّى جَمِيعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**) وهُم مَن لَقُوه في حَياتِه على سبيلِ العادةِ مؤمنِينَ بِه وماتوا على ذلك. وتوَلِّيهم بأنْ نُحِبَّهم مِن حيثُ الإجمالُ محبَّة تعظيمٍ، فقَد روَى التّرمذِيُّ وابنُ حِبّان أنَّ رسولَ الله ﷺ قال «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي**» أي اتَّقُوا الله فيهِم «**لَا تَتَّخِذُوهُم غَرَضًا مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُم فَبِحُبِّي أَحَبَّهُم، وَمَنْ أَبْغَضَهُم فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُم**» والسّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنهُم لهُم مَزِيّةٌ، إذْ قَد أخبَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ

برِضْوانِه عَنهم بقولِه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ فهؤلاء هُم البَرَرةُ الأخيارُ مِن الصَّحابةِ أهلُ المَراتِبِ العَلِيّةِ، **(فَلَا نَسُبُّ أَحَدًا مِنْهُمُ)** امْتِثَالًا لِنَهْيِ النَّبِيّ ﷺ حيثُ قال فيهم مخاطِبًا صاحِبَهُ خالِدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه حينَ تشاجَرَ مع عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» رواه البخاريُّ، **(وَلَا نُضْمِرُ لَهُم كَرَاهَةً)** فإنَّ الطَّعنَ في جميعِ الصّحابةِ كُفرٌ لأنّه مُعانَدةٌ لثَناءِ الله عزّ وجلّ علَيهم **(وَلَا)** نَذكُر فيهم **(نَقْصًا لَيْسَ مِنْهُمْ)** فإنَّ ذلك افتراءٌ وظُلمٌ، وعُلِمَ مِن قولِ المصنِّفِ رحمه الله: "لَيْسَ مِنْهُم" أنّ ليسَ كُلَّ فردٍ مِن الصّحابةِ كانَ تَقِيًّا صالِحًا، فإنَّ الرسول ﷺ قال عن رَجُلٍ من أهل الصُفَّة وُجِدَ معه دينارٌ أو دِينارانِ لِمَّا مات: «**كَيَّةٌ أو كَيَّتَانِ**» لأنه كان يَتظاهَرُ بالفَقْر ويُخفِي مالًا مع كونِه يأخذُ مالًا مِن الغَيرِ على أنّه فقيرٌ، وقال ﷺ عن ءاخَرَ كانَ في الغَزوِ معَهُ فغَلّ شَمْلةً أي أخَذَها بغَيرِ حَقٍّ قبلَ أنْ تُقسَم المَغانِمُ: «**رَأَيْتُ شَمْلَتَهُ تَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**»، وكانَ ثالِثٌ يُقاتِلُ في بَعضِ الغَزواتِ الكُفّار قِتالًا شَدِيدًا فأُعجِبَ بعضُ الصَّحابةِ لِمَا رأَوا مِن نَشاطِه ثُمّ قال ﷺ: «**إِنَّهُ فِي النَّارِ**» رواه البُخاريُّ، ثُمّ قولُه ﷺ في أهلِ صفّينَ الّذِين قاتَلُوا عليًّا: «**وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُم إِلَى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**»، فقد سَمّاهم الرّسولُ ﷺ دُعاةً إلى النّارِ وهذا يَشمَلُ عَددًا قليلًا مِن الصّحابة، فهؤلاء الّذِين قاتَلُوا سيّدَنا عَلِيًّا رضي الله عنه قِسْمٌ قليلٌ مِنهُم مِن الصّحابةِ وأمّا

القِسمُ الأكبَرُ فلَم يَكُونوا مِنهُم وإنَّما مِن الَّذين أسلَمُوا مِن أهلِ الشّامِ مِن غيرِ الصّحابةِ.

(**وَنَعْرِفُ لَهُمْ**) أي للصّحابةِ (**سَوَابِقَهُمْ**) في نُصرةِ النَّبِيّ ﷺ مُجاهدِين بأموالِهِم وأنفُسِهم ابتغاءَ مَرضاةِ الله عزَّ وجلَّ، (**وَ**)نَعرِفُ لَهُم (**فَضَائِلَهُمْ**) الّتي جاءَ الشَّرعُ الكريمُ بها سواءٌ ورَدَتْ فيهم على سبيلِ الإجمالِ كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أم على سَبيلِ التّخصِيص لبَعضِهم كشأنِ أهلِ بَدرٍ، وكإخبارِه ﷺ أنه لا يَدخُلُ النّارَ إن شاء الله تعالى أحَدٌ مِن أصحابِ الشَّجَرةِ الّذين بايَعُوه تحتَها، وكإخبارِه عن العشَرةِ أنَّهم في الجنة، وغيرِ ذلكَ.

(**وَ**)نعرِفُ للصّحابةِ (**نَصْرَهُمْ لِدِينِ اللهِ تَعَالَى**) وذَبَّهم عنِ الدِّين (**وَتَمْهِيدَهُمُ الإِسْلَامَ**) باسلِينَ مُخلِصِين حتّى أظهرَه الله تعالى على الدِّين كُلِّه، فجزاهم الله عنّا خيرَ الجزاءِ (**إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَـ**)ـإنه (**لَا لِسَانَ يَنْطِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ بَعْدَهُمْ وَلَا ضَمِيرَ يَشْتَمِلُ عَلَى خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الإِيمَانِ إِلَّا وَهُوَ فِي جُمْلَةِ حَسَنَاتِهِمْ لِتَأْسِيسِـ**)ـهِم (**القَوَاعِدَ**) الَّتي عرَفَ النّاسُ مِنها دِينَ الإسلامِ وشرائِعَهُ كنَقْلِهِمُ القُرءانَ والأحادِيثَ النَّبوِيّةَ الشَّرِيفةَ (**لَهُمْ**) أي لِمَن جاءَ بعدَهُم مِ، النّاسِ، فاهتدَى المُهتَدُون بسبَبِهم إلى دِينِ الإسلامِ وأطاعُوا اللهَ عَزَّ وجلَّ بأنواعِ الطاعاتِ والعِباداتِ (**وَلِأَنَّهُ**) قد جاء في الخبَرِ الّذي رواه مُسلِمٍ: («**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً**) أي خَصلةً وفَعلةً (**حَسَنَةً**) أي جميلةً حَمِيدةً (**فَلَهُ**

أَجْرُهَا) أي الثَّوابُ بسببِها **(وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا)** مِن المسلِمينَ مِن بَعدِه **(إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»)** تفضُّلًا مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ونِعمةً.

(وَالإِيمَانُ) هو **(أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ)** وخيرُ الأعمالِ وأولاها على الإطلاق، وقد سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَن أفضَلِ الأعمالِ فقال: «**إِيْمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِه**» رواه البخاريُّ، **(وَ)**الإيمانُ هو **(أَعْظَمُ السُّنَنِ)** أي الطُّرُقِ الّتي يجبُ اتّباعُها، لأنه سُنّة أي شريعةُ النَّبِيّ ﷺ الّتي دَعا النّاسَ إليها وقاتَل مَن خالَفَه فيها حِينَ أذِنَ له رَبُّهُ عزَّ وجلَّ في القِتالِ، فلَمّا قامَ الصّحابةُ رِضوانُ الله علَيهِم بِنَشْرِ الدِّين بينَ النّاسِ كان لهم أجرُ مَن ءامَنَ بِسَبَبِهم إلى يَومِ الدِّينِ، **(وَ)**الحالُ أنّه **(لَا بَلَدَ وَلَا مَسْجِدَ يُذْكَرُ فِيهِ اسْمُ اللهِ تَعَالَى إِلَّا وَ)**مَن كانُوا سببًا في ذلكَ مِن الصّحابةِ **(لَهُمْ فِي ذَلِكَ)** الّذي حصَلَ **(نَصِيبٌ مِنَ الأَجْرِ)** قَلَّ أو كَثُرَ، فجزاهُم اللهُ عَن المسلمِينَ خيرَ الجَزاءِ.

(وَ)أمّا **(مَا نُقِلَ فِيمَا شَجَرَ)** أي وقَعَ **(بَيْنَهُمْ)** أي بينَ بعضِهم مِن الخلافِ والقِتالِ في معركةِ الجمَلِ ومعركةِ صِفّينَ **(وَ)**ما **(اخْتَلَفُوا فِيهِ)** فِيما بَينَهُم فـ**(ـمِنْهُ مَا هُوَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ)** قد افتَراهُ المُبْغِضونَ لهم بُغْيةَ أنْ يَنسُبوا إليهِم نَقائِصَ ليسَتْ مِنهُم ولا هُم مِنها كدَعوى أنّ السَّيِّدَة عائشةَ رضي الله عنها قد اتَّهَمَتْ جُنْدَ عليّ رضي الله عنه الّذين رَدُّوها إلى المدِينةِ كَذِبًا بأَنَّهُم أرادُوا بِها الفاحِشةَ، فكَشَفُوا اللِّثامَ عن وُجُوهِم فإذَا هم نِساءٌ، **(فَـ)**ـمِثلُ ذلكَ **(لَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ)** ولا تعويلَ عليه فإنّه لا سَنَد له يُعتمَد عليه بل هو محضُ بُغضٍ مِن مُفتريه، **(وَ)**أمّا **(مَا كَانَ)** مِن الأخبارِ في ذلكَ **(صَحِيحًا)** ثابتًا فهو كما عرفْنَاه مِن قولِه ﷺ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**» رواه البخاري، وكقولِه ﷺ للزُّبيرِ رِضوانُ الله عليهِ: «**لَتُقَاتِلَنَّ**

عَلِيًّا وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ» رواه الحاكِمُ، وأمثالُ هذاالخبَرَ وسابِقَه الثّابتةِ فإنّنا إذَا (أَوَّلْنَاهُ) وحمَلْنَاه (عَلَى) أنَّ المقاتلِينَ لِعَلِيّ كانوا مُجْتَهدِينَ مأجُورِينَ أَدَّى ذلك إلى تكذيبِ قَولِ النَّبِيّ ﷺ: «يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» وقَولِه ﷺ للزُّبَيرِ: «وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ» فإنَّ المأجورَ باجتِهادِه لا يَكُونُ ظالِمًا بل نَقُولُ كما قال الإمام أبو الحسَن الأشعرِيُّ: إنَّ مِمّن قاتَلُوا عليًّا فرِيقًا يُجزَمُ بأنّ ذَنبَه وقَعَ مَغفورًا لبِشارةِ النَّبِيّ ﷺ له بالجَنّةِ كطَلْحةَ والزُّبَيرِ وعائشةَ رِضوان اللهُ علَيهم، ومِنهُم مَن هُو مُجوَّز غُفْرانُه والعَفوُ عَنهُ، وذلك هو (أَحْسَنُ التَّأْوِيلَاتِ) الّتي يُحمَلُ عليها كلامُ الرَّسولِ ﷺ في ذَلِكَ. ولا يَقدَحُ ذلك ما تقدّم من امتِداحهم لأنّ امتداحَهُم هو مَدحٌ على الإجمالِ و(لِأَنَّ الثَّنَاءَ عَلَيهِمْ) أي علَى السّابقِينَ الأوّلِينَ مِنهُم (مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سَابِقٌ) في القرءانِ الكريمِ (وَ)أمّا (مَا يُنْقَلُ) مِمّا لا (يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ) فهو مِن أفرادِ مِنهُم لأنّ جمهور الصحابة كانوا في ذلك معَ علي كرّم الله وجهَه، فإنّ المنقولَ ثابتٌ معلومٌ والتأويلاتُ التي حُمِّلَها ما لا يحتملُه الوارِدُ الصّريحُ فغيرُ ثابتةٍ بل هي تخَرُّصاتٌ مُحتملةٌ (وَالْمَشْكُوكُ لَا يُبْطِلُ المَعْلُومَ) والقاعِدةُ أنَّ اليَقِينَ لا يُزالُ بالشَّكِّ.

الخُلفاءُ الأربعةُ الرَّاشدُونَ

(وَنَعْتَقِدُ صِحَّةَ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ) رضي الله عنه، وهو عبد الله بن عثمان بنِ عامرِ بن كعبٍ القُرَشيّ، فقد كانت خلافتُه لرَسولِ الله ﷺ صحيحةً لإجماعِ النّاس عليها وفِيهم عليُّ بن أبي طالب حيثُ بايعَه على رؤوس الأشهادِ، ولا يجوزُ لقائلٍ أنْ يقول: كان باطِنُ عليّ أو غيرِه بخلافِ ظاهرِه، فإنَّ عليًّا أكبَرُ محَلًّا وأجلُّ قَدْرًا مِن أن

يُقْدِم على هذا الأمر العظيمِ بِغَيرِ حَقٍّ أو يُظهِرَ للنّاسِ أنّ الظّاهرَ حَقٌّ مع عِلمِه بكونِ ما يجري باطِلًا، ثُمّ لو جازَ هذا في إجماعهم على خلافة أبي بكر لم يَصِحَّ إجماعٌ قطُّ، والإجماعُ أحدُ حُجَج الشّريعةِ ولا يجوزُ تعطِيلُه بالتَّوَهُّم.

(وَ)نعتقِدُ صِحّةَ إمامةِ (**عُمَرَ الفَارُوقِ**) رضي الله عنه مِن بعدِ أبي بَكرٍ رضي الله عنه، والفاروقُ هو أبو حفصٍ عُمَرُ بنُ الخطاب بنِ نُفَيلِ بنِ عبد العُزَّى القُرَشِيّ. وقد صَحَّتْ خِلافَتُه باستِخلاف سيّدنا أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه له.

(وَ)نعتقِدُ صِحّةَ إمامةِ (**عُثْمَانَ**) بنِ عَفّانَ بنِ أبي العاصِ القُرَشِيّ رضي الله عنه. فقَد بايعَه أهلُ الشُّورَى مِمّن ترَكَ لهم سيّدُنا عمر أمرَ استِخلافِ واحِدٍ مِمّن بَقِيَ مِن العشَرةِ المُبشَّرِين، فصَحَّتْ إمامُته رضي الله عنه بعدَ إمامةِ أبي بكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهُما.

(وَ)نعتقِدُ صِحّةَ إمامةِ (**عَلِيّ**) بنِ أَبِي طالبِ بنِ هاشمٍ رضي الله عنه وكرَّم وجهَه، ونَشهَدُ أنّه (**لَمْ يَقُمْ مِنْهُم**) أي مِن الخُلفاءِ الأربعةِ (**أَحَدٌ فِي مَقَامِ الخِلَافَةِ إِلَّا بِحَقٍّ وَوَجْهِ شَرْعِيٍّ لَا ظُلْمَ فِيهِ وَلَا حَيْدَ**) أي لا انحِيازَ فيهِ عَن الحَقّ (**وَلَا حَيْفَ**) أي ولا ظُلمَ ولا جَورَ فيه (**وَلَا غَصْبَ**) وقد رَوَى البيهقيُّ بإسناده إلى الحسَن رضي الله عنه أنه قالَ: لمّا قَدِمَ عليٌّ البصرة في إثرَ طلحة وأصحابه قام عبد الله بنُ الكوّاء وابنُ عباد فقالا له: يا أميرَ المؤمنين أخبِرْنا عن مسيرِك هذا أوَصِيّةٌ أوصاك بها رسول الله ﷺ أم عهدٌ عَهِدَه إليك أم رأيٌ رأيتَه حين تفرَّقَتِ الأُمّةُ واختلَفَتْ كلِمَتُها؟ فقال رضي الله عنه وكرّم وجهه: «ما أكونُ أوَّلَ كاذِبٍ عليه، واللهِ ما ماتَ رسولُ الله ﷺ موتَ فَجْأةٍ ولا قُتِلَ قَتْلًا، ولقد مَكَث في مرَضِه كلّ ذلك يأتِيهِ المُؤذِّنُ فيُؤذِّن بالصَّلاةِ فيقولُ:

«**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ لِيُصَلِّي بِالنَّاسِ**» ولقَد ترَكَني وهو يرَى مَكاني، ولو عَهِدَ إليّ شيئًا لقُمتُ به حتى عَرَّضَتْ في ذلك امرأةٌ مِن نسائِه فقالت: إنّ أبا بَكرٍ رجُلٌ رَقِيقٌ إذا قامَ مَقامَك لا يَسمَع النّاس، فلو أمَرتَ عُمرَ أن يُصَلِّي بالنّاس، قال لها: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**»، فلَمّا قُبِض رسولُ الله ﷺ نظَرَ المُسلِمونَ في أمرِهِم فإذا رسولُ الله ﷺ قَد وَلَّى أبا بكرٍ أمرَ دِينِهم فولَّوْه أمرَ دُنياهم فبايعَه المُسلِمونَ وبايعْتُه معهم، فكُنت أغزُو إذا أغزاني وءاخُذُ إذا أعطاني، وكنتُ سَوطًا بينَ يدَيه في إقامة الحُدودِ، فلو كانتْ مُحاباةً عِندَ حُضور مَوتِه لجعَلَها في ولَدِه، فأشار بِعُمَر ولم يَأْلُ، فبايعه المُسلِمُون وبايعتُهُ معهم فكنتُ أغزو إذا أغزاني وءاخُذُ إذا أعطاني، وكنتُ سَوطًا بين يدَيه في إقامةِ الحدود، فلَو كانت محاباةً عند حضور مَوتِه لجعلَها في ولَدِه وكَرِه أن يَنتخِبَ مِنّا مَعشرَ قُرَيشٍ رَجُلًا فيُوَلِّيَه أمرَ الأُمّة فلا يكون فيه إساءةٌ لِمَن بعدَه إلّا لَحِقَتْ عُمرَ في قَبرِه، فاختارَ مِنّا سِتّةً أنا فيهِم لتَختارَ للأُمّةِ رَجُلًا مِنّا، فلَمّا اجتمَعْنا وثَبَ عبدُ الرحمن فوهَبَ لنا نصِيبَه منها على أن نُعطِيَه مواثِيقَنا، فأخَذَ بيَدِ عُثمانَ فبايَعَه، ولقد عرَض في نفسي عند ذلك، فلَمّا نظَرتُ في أمرِي فإذا عَهْدِي قد سبَق بَيْعَتِي فبايَعتُ وسَلَّمتُ فكُنت أغزو إذا أغزاني وءاخُذ إذا أعطاني، فلَمّا قُتِلَ عثُمانُ نظَرتُ في أمرِي فإذا الرِّبْقةُ الّتي كانت لأبي بكرٍ وعُمرَ في عُنقِي قد انْحَلَّتْ وإذا العَهدُ لعُثمانَ قد وَفَّيتُ بِه، وإذا أنا برَجُلٍ مِن المسلمين ليس لأحَدٍ عِندِي دَعوى ولا طِلْبة، فوَثَب فيها مَن ليس مثلي لا قرابَتُه كقَرابتي ولا عِلمُه كعِلْمِي ولا سابِقَتُه كسابِقَتِي وكُنتُ أحقَّ بها منه». رضي الله عن أبي الحسَن عليّ وأرضاهُ.

(وَسُئِلَ) إمامُ دار الهجرة (مَالِكُ) بن أنس (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الأَفْضَلِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، أَوَفِي ذَلِكَ شَكٌّ» وَعَلَى هَذَا) الّذي قاله إجماعُ الصّحابةِ، فعَن عَلْقمةَ رضي الله عنه قال: خطَبَنا عليٌّ على هذا المِنبرِ فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه وذَكَر ما شاء اللهُ أنْ يَذكُرَ ثُمّ قال: "بَلَغَنِي أنّ ناسًا يُفَضِّلُونَنِي على أبي بَكرٍ وعُمَرَ، ولَو كُنتُ تَقدّمتُ في ذلك لعاقَبتُ فيه ولكِن أكره العُقوبةَ قبل التَّقَدُّم، ومن قال شيئًا مِن ذلك فهو مُفْتَرٍ، عليه ما على المُفْتَرِي، إنَّ خيرَ النّاسِ بعدَ رسولِ الله ﷺ أبو بكرٍ وعمرُ"، وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: "كنّا في زمَنِ النَّبِيّ ﷺ لا نَعْدِل بعدَ النَّبِيّ ﷺ أحدًا بأبي بَكرٍ ثُمّ عُمرَ ثُمّ عُثمانَ ثُمّ نَترُك أصحابَ النَّبِيّ ﷺ لا نُفاضِلُ بَينَهُم" رواهُما البيهقيُّ في «الاعتقاد».

وجرَى على تفضيل الخلفاءِ الأربعةِ على غيرِهم بعدَ النّبيّ ﷺ (أَئِمَّةُ الفَتْوَى) كالشّافعِيّ رضي الله عنه، فقد قال البيهقي: ورُوِّينا عن الشافعي أنه كان يقول: «أفضلُ النّاس بعدَ رسول الله ﷺ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عَلِيّ»، (وَ)علَيه (أَكَابِرُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ المُتَّسِمِينَ) أي المُتّصِفِينَ (بِـ)ـالتّمسُّكِ بِـ(ـالسُّنَّةِ) أي الشّريعةِ المحمَّديّةِ.

ءاجالُ العِبادِ محدُودةٌ

(وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الآجَالَ) وهي الأوقاتُ (الَّتِي) قَدَّر الله وقوعَ الموتِ فيها قد (عَلِمَ اللهُ) عزّ وجلّ أزلًا (بِوَقْتِهَا) الّتِي تَقَعُ فِيهِ، فـ(ـلَا تَتَقَدَّمُ وَلَا تَتَأَخَّرُ عَمَّا عَلِمَهُ اللهُ) عَزَّ وَجَلَّ وقَدَّرَهُ واختارَهُ، ولا فرقَ في ذلك بينَ مَن ماتَ حَتْفَ أَنْفِه ومَن ماتَ مَقتولًا، خلافًا لِمَا ذهَب إليهِ بعضُ كفَرةِ المُعتزِلةِ، قال الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا

جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا**» (**فَلَا نَقْطَعُ**) أي ولا نَقدِرُ أنْ نقطعَ (**أَجَلَ أَحَدٍ عَنِ**) وقوعِ الانقطاعِ في (**الوَقْتِ الَّذِي**) قُدِّرَ أنّه يقَعُ فيهِ وفقَ ما (**عَلِمَ اللهُ تَعَالَى وُقُوعَهُ فِيهِ**) لأنّ دعوَى قَطعِ الأجَلِ مُضادٌّ للقُرءانِ والسُّنّة ومُضادٌّ لدليلِ العَقلِ الحاكِم بأنّه لا شيءَ يَقَعُ خِلافَ ما عَلِمَ الله وشاءَ.

وُجوبُ الأمرِ بالمعرُوفِ والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ

(**وَنَرَى وُجُوبَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ**)وُجوبَ (**النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ**) لِقَولِ الله تَعالَى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، ولقولِه ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» أي أقلُّه ثمرةً، ووُجوبُ ذلك إنَّما هو (**عَلَى**) كُلِّ (**مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ**) فلَا يَختَص ذلكَ بذَوِي الوِلاياتِ والمَراتِب بل هو ثَابِتٌ أيضًا لآحادِ المُسلمِين وَاجِب علَى مَن قدَرَ مِنهُم عليه، وينبغي إذا نُهِيَ عن مُنكَرٍ أو أُمِرَ بمعروفٍ أنْ يلتمِسُ فاعلُ ذلكَ الطريقَ الّذي هو أدعَى إلى قَبولِ قَولِه، وإنْ قدَرَ على الاستعانةِ بِغَيرِه ولم يَستقِلّ به استَعانَ ما لم يُؤَدِّ الحالُ إلى مُنكَرٍ أعظَمَ.

(**وَ**)لا بُدّ أن يكون الآمِرُ والناهي مِمّن (**عَلِمَ المَعْرُوفَ وَالمُنْكَرَ**) وذلك يختَلِفُ بحسَب الأشياء، فإن كان مِن الواجبات الظاهرة أو المحرَّمات المشهورة كالصلاة والصيام والزّنى وشُرب الخمر ونحوها فوجوب ذلك على كلِّ المسلمِين، وأمّا المُختلَف فيه إذا فَعَله مَن لا يَعتقِدُ تَحرِيمَه فلا يُنكَر عليه لكن إن نَدَبه على وجه النُّصح

للخُروجِ مِن الخلافِ فمَحبوبٌ ويكون برِفْقٍ، فإنَّ العُلماءَ مُتّفقونَ على استحبابِ الخُروجِ مِن الخلافِ إذا لَم يَلْزم منه إخلالٌ بسُنّة ثابتة أَو وقوعٌ في خلافٍ ءاخرَ، (وَ)محَلُّ وُجوبِ إنكارِ المُنكَر والأمرِ بالمعروفِ حيث (**لَمْ يَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ ضَرَرًا شَدِيدًا يَشُقُّ احْتِمَالُهُ**) فإنَّ الله لَم يُكَلِّفِ النَّفْسَ إلّا وُسْعَها. ويُشترط مع ذلك كُلِّه أن يَظُنّ المأمورَ والمَنهِيَّ يَمتثِلُ لأمره ونَهيه، هذا على الصّحيح، وإلّا فإنه لا يَجِبُ علَيه ذلك.

الخاتِمةُ

(**وَاللهُ**) عزَّ وجلَّ هو (**المُوَفِّقُ**) مَن يَشاءُ (**لِلْعِصْمَةِ**) مِن الكُفر والآثامِ (وَ)إنّنا نُشْهِدُه أنّنا نَشهَدُ أنّه (**لَا رَبَّ غَيْرُهُ**) ونسأله لنا ولأبنائِنا وأحبابِنا توفِيقًا إلى الطاعاتِ وعِصمةً مِن الزَّلّاتِ وأنْ نَلْقَاه وهو راضٍ عنّا، إنّه على ما يشاءُ قدير وبعبادِه لطِيفٌ خَبِيرٌ.

الفهرست

تَرجمةُ الحافظِ ابنِ دَقيقِ العِيدِ رحمه الله..... ٩
لا شيءَ رادّ لتَقديرِ اللهِ ومُرادِه ٣٩
قُدرةُ اللهِ علَى المُمكِناتِ مِن غيرِ مِزاجٍ ولا عِلاجٍ..... ٣٩
إرادةُ اللهِ عزَّ وجلَّ..... ٤١
مَذاهِبُ الكرَّامِيّة والفلاسِفة في الإرادةِ ٤٢
عُمومُ مَشِيئةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ٤٣
اللهُ عزَّ وجلَّ فاعِلٌ بالاختِيارِ لا بالإيجابِ..... ٤٥
كَلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ ٤٥
القُرءانُ كلامُ اللهِ ٤٧
القُرءانُ لهُ إطلاقانِ..... ٤٨
تنَزُّهُ اللهِ عَن مُشابَهةِ الحَوادِث..... ٤٨
إبطالُ شُبهةِ المجسِّمةِ في مسألةِ الفَوقِيّةِ ٥١
تَنزيهُ اللهِ عَن أنْ تَبلُغَه الأوهامُ أو تُدرِكَه الأفهامُ..... ٥٣
تَقريرُ بُرهانِ التَّمانُعِ..... ٥٦
تنزُّهُ اللهِ عَن الشَّريكِ والوالِدِ والولَدِ..... ٥٨
وُجوبُ الإيمانِ بالقَدَرِ ٦٠
نُفوذُ مشيئةِ اللهِ..... ٦٣

تأويلُ النُّصوصِ المُتشابِهة ٦٦
الإيمانُ بالملائكةِ الكِرامِ..... ٧١
الإيمانُ بالجَنّةِ والنّارِ..... ٨٢
الإيمانُ بسُؤالِ الملَكَينِ في القَبرِ..... ٨٤
الإيمانُ بالنَّفخِ في الصُّورِ..... ٨٦
الإيمانُ بأشراطِ السَّاعةِ..... ٨٦
تَوَلِّي أصحابِ رسولِ ﷺ..... ٨٩
الخُلفاءُ الأربعةُ الرَّاشدُونَ..... ٩٣
ءاجالُ العِبادِ محدُودةٌ..... ٩٦
وُجوبُ الأمرِ بالمعرُوفِ والنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ..... ٩٧
الخاتِمةُ ٩٨
الفهرست..... ٩٩